القعقاع بن عمرو حقيقة أم أسطورة؟ !

[مجموعة مقالات تم نشرها في صحيفة الرياض قبل أربعة عشر عاماً]

كنت قد وعدت القراء قبل أكثر من سنة أن أكتب حول (القعقاع بن عمرو التميمي)، وهاأنذا اليوم أحاول أن أفي بوعدي مع أن هذا الموضوع تأخر بسبب المقالات أخرى أكثر أهمية، وكنت قد قلت في حواري مع أخي الدكتور عبدالله العسكر أن سيف بن عمر التميمي هو الذي اختلق شخصية القعقاع بن عمرو، كما اختلق كثيراً من الرواة والأبطال والبلدان والمعارك.. .الخ.

وكنت قد قلت يومها إن جاءني أحد بترجمة للقعقاع بن عمرو ولو اسماً فقط عن طريق مؤرخ آخر غير سيف بن عمر فأنا راجع عن قولي هذا؛ بشرط ألا يكون ذلك المؤرخ قد نقل الترجمة من سيف رواية أو وجادة، بل أزيدكم وأقول: إن جاءني أحد يخبر عن القعقاع قاله محدث أو مؤرخ أو فقيه أو قاص أو ثقة أو كذاب قبل سيف بن عمر فأنا أيضاً راجع إلى اعتبار سيف بمنزلة البخاري صاحب الصحيح .

وإلى الآن –من ذلك التاريخ- لم يزعم أحدا أنه وجد ترجمة أو خبراً للقعقاع عند غير سيف أو من ينقل عنه.

وقد أسعدني أنني علمت أن بعض كبار المؤرخين المعاصرين بحث القضية أو كلف من يبحثها واكتشف النتيجة نفسها ! !

رسالة علمية في القعقاع!!

لا أخفيكم أنني منذ أن علمت أن هناك رسالة علمية في القعقاع بن عمرو أنني جزمت أن صاحبها لن يجد مصدراً غير سيف بن عمر، اللهم إلا أن يقول الباطل، وبالفعل حصلت على تلك الرسالة العلمية ووجدت صاحبها قد زعم أن القعقاع جاء عن طريق آخر غير سيف!! فلما نظرت الموقع الذي زعم، وجدته ينسب ذلك لكتاب منسوب خطأ إلى الواقدي فضحك على المشرفين والمناقشين وحصل على امتياز كالعادة!!.

وسأتناول هذا الموضوع في الحلقة القادمة، لكن يهمني الآن أن أبسط القضية حتى يفهمها المتخصص وغير المتخصص، بل سيفهمها القارئ العادي الذي عنده أدنى اهتمام بالتاريخ الإسلامي.

تبسيط القضية

سأضرب مثلاً يتفق عليه الجميع فأقول: لو وجد أحدنا كتاباً عن المملكة ذكر فيه مؤلفه أن أكبر ثلاث مدن بالمملكة هي الرياض وجدة والحشرة!!.

لا ريب أن القارئ العادي يعرف أن المؤلف أصاب في ذكر الرياض وجدة، لكن الحشرة هذه لم يسمع بها القارئ، وهو متأكد قطعاً أنها ليست من المدن المشهورة فضلاً عن كبريات المدن!!.

وإذا كان المؤلف لم يكتف بهذا بل ذكر أن مدينة الحشرية كانت عاصمة إحدى المحافظات وأضاف تفصيلات لفتحها وشوارعها ومعالمها التاريخية وأضاف أشعاراً قيلت فيها وذكر بعض الكتب المؤلفة فيها؟! فذكر ذلك المؤلف أن تلك المدينة المزعومة بين الرياض والخرج وأنها أكبر من الخرج أضعافاً مضاعفة وأن فيها من التطور

التعليمي والعمراني والصناعي ما يوازي مدينة الرياض! ! ليس هذا فقط بل ذهب ذلك المؤلف يسرد عشرات المدن التي لم يسمع بها أحد ولم ينطق بها لسان ولا سمعت بها أذن ولا خطر على قلب بشر! ! فأنشدكم الله ماذا سيكون موقفنا من هذا المؤرخ (الجغرافي) ! !

لا ريب أننا سنتهمه بالكذب وبعضنا يتهمه بالجنون وقد يلتمس بعضنا له عذراً بأنه يريد سرد قصة خيالية أدبية ؟! ولا يريد ما كتبه على الحقيقة وسيكون كتابه في سلة المهملات إلا من أراد قراءته لحبه القصص كما يفعل بعضنا مع قصص الزير سالم وعنترة والبهلوان وسيف بن ذي يزن على أن هؤلاء لهم حقيقة لكن بولغ فيها جداً.

نعود لموضوع مدينة (الحشرة) فنقول: قد يأتي أحفادنا بعد مائة سنة أو أكثر من يجد هذا الكتاب (كتاب الحشرة) في أحد زوايا مكتبة قديمة ويعجب لما فيه ويظن أنه قد حصل على مخطوطة تستحق الذكر ويجب الاستفادة منها ومن المعلومات التي فيها فيقوم هذا الحفيد الذي لم يكن معاصراً لهذا العصر ، فيصنف (حفيدنا) هذا كتاباً في التاريخ ويضمنه نصوصاً من كتاب مؤرخ (الحشرة) فتجد روايات ذلك المؤرخ تسير جنباً إلى جنب مع أبحاث حمد الجاسر وعبد الله بن خميس! ! ثم يصبح كتاب (الحفيد) معتمداً بعد مائتي سنة من اليوم لأنه صادف أناساً لا يبحثون ولا يقارنون ولا يحققون ويحبون كل شيء (في الماضي) فكل شيء قديم صار مقدساً عندهم مع أن الحق والباطل لا يخلو منهما زمان، فتجد هؤلاء المؤرخين إذا ذكروا أبرز مدن المملكة ذكروا منها مدينة (الحشرة) الكبرى ومدينة الدعافيص ومدينة المعثرة ومدينة لبط ... وهكذا تجدون هذه المدن (المزعومة) منثورة بين كبار المدن الحقيقية كالرياض ومكة والمدينة وجدة ...الخ.

فهذه باختصار هي قصة سيف بن عمر مع عدد كبير من الشخصيات التي اختلقها وليس لها وجود أو على الأقل لم يكن لها الدور الذي ذكره ولو كان لها ذلك لعلمها قبله مئات من المؤرخين والمحدثين والأدباء...الخ مثلما علموا من هو أقل شأناً من القعقاع.

وتلك الشخصيات والمعارك والأشعار والبلدان التي انفرد بها سيف لم يعرفها أحد غيره لا في عصره ولا عرفها من سبقه ولذلك لم يعوّل أحد على كتابه إلا بعد موته بنحو مائة سنة ولم تكن لروايات سيف بن عمر عند معاصريه أية منزلة لدرجة أنهم لا يلتفتون إليها مضعّفين ومصححين ولم يكونوا يعدونه في المؤرخين ولا الأدباء وإنما أشبه ما يكون بالقصاص مع أن القصاص لم يكونوا يتعمدون الإساءة إلى التاريخ الإسلامي وتشويهه مثلما فعل سيف بن عمر ولن يصدق قولي هذا إلا من قرأ روايات سيف رواية رواية ثم قارنها مع الروايات الأخرى التي رواها الثقات وغيرهم.

ثم إن سيف بن عمر لم يقل إن القعقاع مجرد شخصية عادية بل أوصله إلى مستوى من الشهرة والبطولة والحكمة والفقه بحيث يقطع من اطلع على أخباره أنها لن تخفى على غير سيف.

فسيف بن عمر زعم أنه صحابي وأنه اشترك في حرب الردة واشترك في حروب العراق ثم الشام ثم مصر ثم المشرق وكانت له الأيادي البيضاء في اليرموك والقادسية والأبلة وذات السلاسل والولجة وأليس والحيرة و(الخنافس)!! والحصيدة والمصيخ والثني!! والزميل والعراق وأغواث وعماس وبهرسير والمدائن جلولاء ونهاوند ومصر ودمشق وفحل وحمص والإسكندرية والبهنسا وغيرها من المعارك والأحداث.. وتولى إمارة الحيرة ثم إمارة حلوان!! ولم ينس أن يذكر أشعاره ومدائح الخلفاء الراشدين فيه وقول أبي بكر: (صوت القعقاع خير من ألف رجل)!!!!

ولم ينس ذكر زوجاته وأقضيته وفتوحاته وفصاحته وأشعاره ووصف فرسه ووصف سيفه وزوجاته ودخوله في المصالحة بين علي وعائشة وغيرها كثير جداً من الأخبار التفصيلية الدقيقة التي حملت بعضهم على التأليف في ذلك حتى غزت هذه المزاعم الرسائل الجامعية فأفرد بعضهم رسالة في القعقاع!!.

أين المؤرخون؟!

سبحان الله أين المؤرخون قبل سيف وفي عصره بل وبعده عن هذه الأخبار فهم كثيرون ولا يظن أحد أنه لم يكن هناك مؤرخون أو مهتمون بالأخبار فقد وجد أبان بن عثمان والشعبي ومقسم بن بجرة ووهب بن منبه وعروة بن الزبير وشرحبيل بن سعد وموسى بن عقبة وابن اسحاق والواقدي ومعمر بن راشد وأبو معشر وأبو إسحاق الفزاري والوليد بن مسلم وسليمان التيمي وعبد الرزاق الصنعاني وأبو زرعة الدمشقي وأبو بكر بن أبي شيبة وابن قتيبة والمدائن وابن المديني ويحيى بن معين وابن سعد صاحب الصبقات وخليفة بن خياط صاحب التاريخ المشهور ويعقوب بن سفيان ومطين وآل مندة والطبراني وأبو مخنف والبلاذري والقاسم بن سلام ويحيى بن آدم والكلبي محمد بن السائب وابنه هشام والهيثم بن عدي ومصعب الزبيري والزبير بن بكار وبحشل والخطيب البغدادي ونصر بن مزاحم وعمر بن شبه وأبو حنيفة الدينوري واليعقوبي وابن أعثم والبرقي وابن أبي الدنيا والأصمعي والجاحظ والمبرد والقالي وابن عبد ربه وغيرهم كثير فإذا كان هؤلاء هم أبرز المهتمين بأخبار الناس وتواريخهم.. فكيف ببقية علماء الحديث وعلماء الجرح والتعديل والأدباء والمهتمين بالنواحي اللغوية والنسابين وغيرهم فأين هم عن هذا (البطل المشهور الفصيح الذي تولى إمارتين في الصدر الأول!!) مع أن بعض المذكورين سابقاً ضعيف وبعضهم بعد سيف لكن لم يذكروه بحرف بينما نجد في

روايات سيف ما نؤلف به الكتب عن هذا الرجل وكذلك الرسائل!! فالقعقاع مثل مدينة (الحشرة) تماماً!!!.

شبهات

شبهة (1):

قد يقول بعضهم: ما المانع أن ينفرد سيف بن عمر بذكر القعقاع مثلما قد ينفرد غيره بذكر بعض الشخصيات!!.

أقول: لا يوجد مؤرخ انفرد بشخصية مشهورة فالشخصيات المشهورة لا بد أن يتفق على ذكرها أكثر من واحد أما الشخصيات المغمورة فهذا صحيح كل مؤرخ ربما ينفرد ببعض الشخصيات المغمورة.

مثلما نجد اليوم بعض المؤرخين الجغرافيين قد ينفرد بذكر قرية أو هجرة من الهجر لكن لا يمكن أن توجد مدينة اسمها (الحشرة) مثل مدينة الرياض لا يشيرون إليها عندما يؤلفون عن (مدن المملكة)!! فاحفظوا هذا المثال فبه يزول الإشكال.

شبهة (2) قد يقول قائل:

أنت هنا تنكر ما أجمع المؤرخون على إثباته ولم ينفه أحد منهم؟

أقول: بل أنا هنا أقرر ما أجمع عليه المؤرخون قبل سيف على إهماله وعدم ذكره مما يعد إجماعاً على أن الأمر مجرد اختلاق من سيف فالإجماع المعاصر لا يناقض الإجماع الأول.

شبهة (3) يقول المعترض:

إن أصحاب التراجم ترجموا للقعقاع فهل من أثبته منهم كالحافظ ابن حجر جهل منهم؟! ثم هذا خلاف ما ذكره السلف!

أقول: أولاً: من حيث المبدأ لا مانع أن يستدرك اللاحق على السابق إذا توفرت الأدلة والبراهين على ذلك.

ثانياً: أصحاب التراجم هؤلاء مختلفون أيضاً في القعقاع فقد نفى ابن أبي حاتم صحبته ورد على سيف زعمه بأن القعقاع شهد وفاة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)!!.

ثم إن أصحاب التراجم من حيث العموم مختلفون في كثير من الشخصيات هل هم صحابة أم لا!!.

ومترجمو الصحابة المتقدمين لم يذكروا القعقاع لا في الصحابة ولا التابعين مما يعني أنه عندهم مختلق فإنه من شرط البخاري في كتابيه التاريخ الصغير والكبير لكن لم يذكره فيهما البتة وهكذا مسلم وابن سعد وغيرهم لم يذكروه لا في الصحابة ولا التابعين فلماذا نزعم أن أصحاب التراجم أثبتوه؟!.

صحيح أن بعض المتأخرين منهم أثبته اعتماداً على روايات سيف بن عمر فقط ويكفي أن الحافظ ابن حجر في ترجمته للقعقاع قد نقل عن سيف أكثر من عشر مرات ولم ينقل أخباره إلا عن سيف أو عمن ينقل عن سيف!!.

ثم إن الحافظ ابن حجر وابن عبد البر وغيرهما قد استدركا على من سبقهما كثيراً من التراجم التي عدها السابقون صحابة فأثبته المتأخرين أنهم ليسوا صحابة.

وقد قمت بإحصاء كل التراجم التي إستدركها ابن حجر على من سبقه في كتابه (الإصابة) في القسم الرابع منه الذي خصصه الحافظ في (الذين ذكروا في الصحابة على سبيل الوهم والغلط) ! ! فبلغت تلك التراجم أكثر من ألف ومائة وخمسين ترجمة ! ! فإذا كان الحافظ يستدرك الآلاف من التراجم فلماذا لا نستطيع –مع توفر المعلومات وسهولة الحصول عليها– أن نستدرك السابقين أيضاً ؟ ! .

بل ربما لو كان الحافظ ابن حجر في عصرنا لاتهمناه بأنه يريد الطعن في السابقين وأنه مع المستشرقين والمبتدعة لأنه نفى صحبة أكثر من ألف صحابي من (الصحابة الكرام) ! ! ويريد هدم السنة التي وصلتنا عن طريقهم... إلى آخر النغمة المعروفة ! ! لابد من إتاحة حرية للحق أن يظهر ولابد أن نتحاكم إلى الأدلة والبراهين وليس إلى الظنون والجهالات .

ثم لماذا نحمّل المنهج السلفي كسلنا وقصورنا في البحث ؟ ! ينبغي عدم التسليم للأقدم فالأقدمية ليست معياراً إنما المعيار هو الدليل والبرهان ولو كان المعيار للأقدمية لما استدرك ابن حجر ألف ترجمة على من سبقه ! ! .

شبهة (4):

قد يقول قائل: لكن قولك هذا قد قال به بعض المستشرقين وهم كفار أو قال به بعض المبتدعة ولعلك توافقهم من حيث لا تدري ؟ !

أقول: أولاً: ليس كل ما قاله المستشرقين والمبتدعة باطلاً فهناك بحوث لبعضهم في غاية الدقة والمنهجية التي لا تتوفر عندنا ولن نستطيع البحث عن الحقيقة إلا إذا اعترفنا بقصورنا وضعفنا فلا يجوز أن ندس رؤوسنا في

التراب ونزعم أن كل الإنتاجات التي تصدر من عند الآخرين باطل وشر فهذا يجعلنا نتقوقع على بعض الباطل ونضحك على نفوسنا وعلى الآخرين.

ثانياً: كلنا يحفظ الحديث (الحكمة ضالة المؤمن فأينما وجدها فهو أحق بها) لكن الواقع التطبيقي يقول إننا بعيدون عن هذا الحديث!! بل أن بعضهم ربما وجد بعض الأبحاث الجيدة عند بعض الكفار أو المبتدعة ثم يستحي أن يعلنها حتى لا يتهم!! وهذا مرض خطير وشعور لا علاقة له بالعلم وليس من الولاء والبراء فالبراء من الكفار والمبتدعة لا تعني البراءة مما عندهم من حق ولو كان كذلك لما سمعنا بالحديث السابق.

ثالثاً: أنا ضد الأخذ المباشر من أبحاث الكفار والمبتدعة دون مقارنة ولا دراسة وإنما مجرد تقليد كما أنني ضد التقوقع وعدم الاستفادة من هؤلاء إذا وجدنا عندهم بعض الفوائد العلمية. بل أنتم تلاحظون أن كثيراً بل أكثر الأبحاث الطبية من عند الكفار ولو تركناها لضاعت مصالح كثيرة وخالفنا الشرع والعقل والفطرة.

إذن لا ضير أبداً أن يتفق الباحث في النتائج مع بحث لأحد الكفار أو المبتدعة بشرط أن يكون كل هذا عن دراسة وتحر للحق لا عن تقليد ومتابعة عمياء فهناك فرق بين الحالتين أرجو ألا يخفى على عاقل.

وإلى اللقاء في الأسبوع القادم لنستكمل الموضوع إن شاء الله.

القعقاع بن عمرو حقيقة أم أسطورة!! (2)

ذكرت في الحلقة الماضية بعض الأدلة على اختلاق سيف بن عمر لشخصيات من أشهرها القعقاع بن عمرو التميمي ووعدت القراء بأن أتناول بالنقد رسالة جامعية أثبتت القعقاع بن عمرو وبطولاته وفتوحاته

وصحبته و...الخ !!! وسماها صاحبها (القعقاع بن عمرو التميمي ودوره في الفتوح الإسلامية وأحداث عصر الراشدين)!! أعدها الطالب عبد الباسط مدخلي. وحصل بموجبها على الماجستير في التاريخ الإسلامي (!!) من قسم الدراسات العليا والتاريخية بجامعة أم القرى.

وقبل أن أدخل في حوار مع أخي عبد الباسط (صاحب الرسالة) أو أن أنبه إلى أنني ذكرت في الحلقة الماضية حديث (الحكمة ضالة المؤمن) وهو حديث ضعيف رغم أن معناه صحيح وله تطبيقات في عهد النبوة والخلفاء الراشدين وعلماء السلف وقد رواه القضاعي والترمذي والعسكري والبيهقي وأبو نعيم وغيرهم بأسانيد فيها ضعف ظاهر أضف إلى أن بعضها مرسل وبعضها موقوف أو مقطوع فلذلك أحببت التنبيه على هذا الخطأ الذي صدر مني رغم صحة معنى الحديث.

رسالة الماجستير

أعود الآن إلى الحوار مع أخي الأستاذ عبد الباسط مدخلي (صاحب القعقاع) وأرجو أن يتسع قلب أخي المدخلي لهذا الحوار الذي نتمنى جميعاً أن يساهم في تصحيح مسار كثير من الدراسات التاريخية وغيرها عندنا هنا في المملكة وأن يوصلنا إلى الحقيقة المجردة بعينها.

ولا ريب أن الأستاذ المدخلي سيجد صعوبة بين الاعتراف بالخطأ والإصرار عليه لأن الإصرار على الخطأ بعد سقوط الحجج مذمة عند الله والعقلاء كما أن الاعتراف بالخطأ مذمة عند الجهلة وبعض المؤسسات العلمية أيضاً!! والباحث في المجتمع لا يرحم الراجع إلى الحق ولا يشكر المعترف بالخطأ لكنني أرجو أن يكون

أخي المدخلي في شجاعة تؤهله للاعتراف بالخطأ وكلنا بشر نصيب ونخطئ. . ولعل المدخلي يرى أننا من مقال لآخر اعترف بخطأ من الأخطاء ومن أقرب تلك المقالات هذا المقال فقد وهمت وذكرت حديثاً مشهوراً ظننته صحيحاً ثم تبين لي خلاف ذلك واعترافت بالخطأ ونشرته على الملأ. وأرجو أن يكون المدخلي أكثر حباً للحقيقة وللعلم وألصقه بالمنهجية مني.

لماذا الرسائل؟!

أنا أحب تناول الرسائل الجامعية لأن الرسالة الجامعية ستكون علمية وأجمع لشتات المسألة وأقوى حجة وليس كما يفسره بعضهم بأن هذا (حرب على الرسائل الجامعية)!! فإنني سبق وأن أثنيت على رسائل جامعية وقلت أكثر من مرة إن التعميم مرفوض عقلاً وشرعاً لكن أيضاً عندنا ضعف ظاهر في كثير من الرسائل العلمية نرجو أن يسهم النقد في التقليل من هذا الضعف وإصلاح الأخطاء.

عودة إلى المدخلي

قسمّ المدخلي رسالته في القعقاع إلى أربعة فصول:

الفصل الأول: كان عن بني تميم ومكانة القعقاع فيهم. .

والثاني: عن جهد القعقاع في حروب الردة وفتح العراق.

والثالث: عن جهود القعقاع في فتوح الشام ومصر.

والرابع: عن دور القعقاع في الأحداث في عهد عثمان وعلي.

ولم ينس أخونا المدخلي أن يفرد بحثاً عن (الرد على من ينكر وجود القعقاع!!).

ومعنى هذا أن القول بتضعيف أخبار القعقاع واختلاقه قد وصل الباحث وتوصل إلى خلاف ذلك بأدلة علمية!! فسنرى مدى علمية ذلك ومن هذا نرى مقدار قوة بعض الرسائل الجامعية عندنا!!.

وسأورد الآن بعض الملحوظات المنتقاه على هذه الرسالة فأقول:

الملحوظة الأولى:

عنوان الرسالة (القعقاع بن عمرو التميمي ودوره في الفتوح الإسلامية وأحداث عصر الراشدين!!).

أقول: هل تعلمون لماذا اقتصر الطالب على هذه الفترة ولم يذكر دور القعقاع في العهد الأموي ولا العصر الجاهلي؟!.

السبب لم يكره الطالب ولم يُرد إخبارنا به والسبب أن كتاب سيف بن عمر كان في (الردة والفتوح ومسير عائشة وعلي) ولم يكن لسيف مؤلفات أخرى عن الجاهلية أو العهد الأموي فلذلك توقفت أخبار القعقاع حيث توقف سيف بن عمر!! لأن القعقاع مثل (مدينة الحشرة) لا يوجد إلا في روايات سيف بن عمر!! ولو تكلم سيف بن عمر عن العهد الأموي لوجدنا القعقاع فاتحاً للسند والهند وللأندلس والمغرب!!.

ولأضفنا للرسالة الجامعية لفظة (والعهد الأموي)!!. فتحديد الطالب للمدة ليس من اختياره كما يظن البعض لأن المدة في عنوان الرسالة قد حددها سيف بن عمر قبل ألف ومئتي سنة!!.

الملحوظة الثانية:

ابتدأ الطالب مقدمة رسالته بالثناء على الصحابة وصب كل الفضائل الموجودة في الآيات والأحاديث على هذا الصحابي الذي ليس له وجود أصلاً!! ثم أردف الطالب قائلاً: (وأنا أميل لقراءة حياة الصحابة وقصصهم وبطولاتهم وتضحياتهم!!) وهذا دليل على أن سيفاً يروي ما يحب العوام مثلما نحن نتأثر بالجانب القصصي والبطولات وكثر القتلى واختراق البحار وركوب الأهوال!! فأشبع فينا سيف هذه الحاجة النفسية!! خاصة وأنه من أروع القصاص في حسن الربط والمبالغات التي لا تجدها في الكتب الشعبية المؤلفة عن الزير سالم وعنترة بن شداد!! فنحن –العرب– فينا حب الأساطير ونخلط هذا الحب بالعلمية!! حتى نظن أن أساطيرنا لها أسانيد ورجال ثقات!! والغريب أننا لا نشعر بهذا ونظن أن ما نحبه هو العلم وما نكرهه هو الجهل!!.

الملحوظة الثالثة:

ذكر المدخلي ص (ب) أن منهجه في البحث هو (دراسة المعارك كانت المصدر الوحيد الذي استقى منه دراسة شخصية القعقاع)!! ولم يقل لنا المدخلي أن مصدر تلك المعارك هو سيف بن عمر لأنه يريد التقليل من ذكر سيف بن عمر ما أمكن!! وإنما زعم أن مصدره هو (المعارك التي خاضها القعقاع!!) مخفياً المصدر الذي نقل لنا تلك المعارك!! وأظن الأخ المدخلي يعرف هذا كله ويعرف أن المصادر ليست الأحداث وإنما

الكتب والروايات ولم أر باحثاً يزعم أن (الأحداث) مصدراً ؟ ! ومدى علمية هذا ؟ وتعريفه للمصدر هنا ؟ !

فهذه أمور يجب البت فيها حتى لا نلبس على أنفسنا وعلى الآخرين.

الملحوظة الرابعة:

ذكر الطالب كتابين مؤلفين عن القعقاع أحدهما لمحمد الميداني والثاني لخير الله طلفاح ومن العجب أن الطالب قال (وعند قراءتي لهذين الكتابين وجدت تطابقاً شبه تام في محتوياتهما ! !) ثم قال: (ولم اتبين من الذي نقل عن الآخر) ! ! .

أقول: كلاهما نقلا عن سيف ورسالتك ستكون الكتاب الثالث (المتطابق) مع ما ذكره الميداني وطلفاح لأن المنبع الوحيد هو سيف بن عمر.

الملحوظة الخامسة:

اشتكى الطالب من (ندرة أخبار القعقاع في الجاهلية ودوره في قبيلة تميم قبل إسلامه) ! !

أقول: هذا ليس بمستغرب لأن سيفاً لم يؤلف كتاباً عن العصر الجاهلي ولو فعل ذلك لوجدنا أخبار القعقاع في داحس والغبراء وحرب البسوس ووقعة ذي قار وغيرها ! ! ولو ألف سيف كتاباً في (الأنساب) لوجدناه منسوباً بالتسلسل إلى بني تميم لكن هذا لم يحدث فلذلك لا تجده في كتب الأنساب المتقدمة البتة بينما نجد تلك الكتب تتفق في ذكر من هو أقل منه شهرة بينما لا يذكره واحد منها ! ! .

ثم زعم الطالب أن (أخبار القعقاع تناثرت في المصادر التي تحدثت عنه) ! ! وليته ذكر لنا مصدراً غير سيف فنصدقه ! ! .

الملحوظة السادسة:

ثم قال الطالب: (وقد اعتمدت على عدة مصادر منها الواقدي في كتابه فتوح الشام) ! ! .

أقول: هكذا بدأ بالواقدي ولم يبدأ بذكر سيف بن عمر حتى يبعد عن رسالته تهمة الاعتماد على الكلبي على سيف بن عمر ! ! أما زعمه السابق بأن الواقدي كان مصدراً من مصادره فهذه (ضحكة كبرى) من الطالب لا أدري كيف انطلت على المشرف والمناقشين لأنه من المعلوم لعموم المهتمين فضلاً عن المتخصصين أن الكتاب الذي ذكره المدخلي والمسمى (فتوح الشام) المنسوب للواقدي لا تصح نسبته إليه بل هو مكذوب على الواقدي ولم أكن أتوقع أننا سننشغل بإبطال نسبة ذلك الكتاب للواقدي لأن بطلان هذه النسبة أمر ظاهر مشهور بين طلبة العلم.

وسأنقل قول عميد كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة أم القرى تلك الكلية التي حصل منها الطالب على الماجستير ! ! يقول عميدها الدكتور محمد صامل السلمي في رسالته للدكتوراه (منهج كتابة التاريخ الإسلامي ص354) يقول ما نصه (يلاحظ أن للواقدي كتاباً في فتوح الشام ذكره ابن النديم في الفهرست لكنه غير الكتاب المعروف المتداول بهذا العنوان والذي طبع في مصر ولبنان ! ! بعنوان (فتوح الشام) وملحق به أخبار بعض البلدان في مصر مثل (البهنسا) لأن هذا الكتاب قصصي يختلف في أسلوبه وسياقه وعباراته عن اسلوب الواقدي والعصر الذي عاش فيه، إذ يُكثر من السجع المتكلف وركامة العبارة وضعف البناء الشعري فيما يورده من أشعار منسوبة للفاتحين من الصحابة والتابعين كما أنه يغرق في التفصيلات والوصف الخيالي للأبطال ويذكر أبطالاً غير معروفين مثلما ذكر عن أبي الهول وأنه قاد ألفا من عبيد السودان مع ميسرة بن

مسروق العبسي!! كما أن الرواة الذين رويت عنهم هذه الفتوح لم أجد لهم تراجم في كتب الرجال وهذا كله يؤكد عدم صحة نسبة الكتاب للواقدي)!.

انتهى كلام الدكتور السلمي ولا أدري ماذا سيقول الطالب الذي حصل على الشهادة من الكلية نفسها التي يتولى عمادتها الدكتور السلمي!!.

أنا أجزم بأن الطالب قد رجع لكتاب السلمي لأنه كتاب مشهور حالفه الكثير من النجاح.

نقد كتاب (فتوح الشام) المنسوب للواقدي زوراً:

وقد حاولت أن أقوم ببحث سريع لكتاب (فتوح الشام) المنسوب ظلماً وزوراً إلى الواقدي فوجدته مادة مخلوطة من مصادر شتى مؤلف بعد الواقدي بمئات السنين!!

وإليكم مقتطفات سريعة من هذه الدراسة:

1. يزعم مؤلفه أنه يروي عن أنس بن مالك وورقة بن مهلهل التنوخي (صاحب رواية أبي عبيدة وأمثالهم من المتقدمين الذين توفوا قبل أن يولد الواقدي بعشرات السنين!! فإن أنس بن مالك –على سبيل المثال– توفي عام 92هـ وكانت ولادة الواقدي عام 129هـ تقريباً فكيف يروي هذا عن أنس بن مالك؟!.

2. في الصفحات 39، 44، 46، 49، 52 روايات للواقدي عن ابن إسحاق مع أنه لم يرو عنه البتة!! وراجعوا ترجمتهما في تهذيب الكمال وغيره من كتب الرجال.

3. قوله ص56 (حدثنا ابن اسحاق حدثنا عمارة بن وهب عن سعيد بن عامر (عن) سليمان بن ناقد عن عروة عن جابر عن محمد بن إسحاق!!. أقول: انظروا إلى تخبيطات ذلك المؤلف فقد جعل بين ابن إسحاق وابن غسحاق نفسه خمسة من الرواة!!.

4. قال مؤلف الكتاب: (قال ابن إسحاق حدثني يوسف بن عبد الأعلى بجامع الرملة سنة مئتين وعشرين من الهجرة...)!!.

أقول: وهذا من أكبر دلالات الكذب وبطلان نسبة الكتاب لابن إسحاق أو الواقدي لأن ابن غسحاق توفي عام 151هـ أي قبل التاريخ المذكور في الرواية بسبعين سنة!! كما أن الواقدي توفي عام 207هـ أي قبل ذلك التاريخ بثلاث عشرة سنة!! فأين عقولنا؟! وأين بحثنا؟! وهل هذه هي مصادر دراساتنا الجامعية؟!!.

5. في الرواية نفسها نجد مؤلف ذلك الكتاب يذكر إسناداً من ابن إسحاق إلى الواقدي بلغ تسعة من الرواة!! وكأنّ الواقدي توفي قبل ابن إسحاق بأربعة قرون!! بينما الصحيح أن ابن إسحاق توفي قبل الواقدي بأكثر من خمسين سنة!!.

6. مما يدل على بطلان نسبة الكتاب إلى الواقدي قول مؤلفه في (فتح البهنسا) قال: (قالت الرواة بأسانيد صحيحة) (!!) عمن حضر الفتح من أصحاب السير والتواريخ!! مثل الواقدي وأبي جعفر الطبراني!! وابن خلكان!! في تاريخ البداية والنهاية!! ومحمد بن إسحاق وابن هشام!! الخ.

أقول: أخطاء هذه الأسطر تحتاج لبسطها والرد عليها في مجلدات. فهؤلاء المؤرخون لم يشهدوا الأحداث كما زعم مؤلف الكتاب!! ثم كيف يروي الواقدي هنا عن نفسه إن كان الكتاب منسوباً له؟! ثم كيف يروي

الواقدي عن الطبراي وقد توفي قبل ولادة الطبراني بثلاث وخمسين سنة!! وكيف يروي الواقدي عن ابن خلكان وقد توفي الواقدي قبل أن يولد بأربعمائة سنة!! ثم إن كتاب (البداية والنهاية) ليس لابن خلكان وإنما لابن كثير الذي لم يولد إلا بعد الواقدي بأكثر من نصف قرن من الزمان!! لا أدري بعد هذا كله كيف استجاز المدخلي أن ينسب الكتاب للواقدي أو أن يثبت نسبته!! وكيف جوّز لنفسه أن يثبت أخبار القعقاع بن عمرو بناءً على هذا الكتاب القصصي الذي لم يؤلف إلا بعد سيف بن عمر وبعد الواقدي بمئات السنين!!.

كما لا أدري لما يعاتبنا بعض الأخوة على القسوة في النقد فهل ترك لنا هؤلاء الأخوة (أصحاب الرسائل) هل تركوا لنا مجالاً للرفق واللين؟! بل لعل السؤال الطبيعي أن نقول: لماذا لا نقسو على تلك الدراسات؟ ولماذا نترك للمجاملات والنواحي الوظيفية أن تترك بصماتها على كثير من البحوث والرسائل الجامعية؟!!

وإلى لقاء في الحلقة القادمة لاستكمال الحوار مع الأخ المدخلي.

القعقاع بن عمرو حقيقة أم أسطورة؟! (3)

ذكرت في الحلقة الماضية بعض الأقوال والحجج التي ذكرها الأخ عبد الباسط مدخلي مدللاً بها على حقيقة (وجود) القعقاع بن عمرو!! وذكرت كيف أن الأخ المدخلي يحاول تجنب ذكر سيف بن عمر (المصدر الوحيد لأخبار القعقاع!!) ويحاول أن ينسب إلى مصادر ناقلة عن (سيف بن عمر) ولا يشير إلى أنها ناقلة إمعاناً في الإخفاء على القراء وقبلهم المشرف والمناقشين!! حتى لا يكتشف هؤلاء أن مصدر الرسالة الوحيد كان سيف بن عمر التميمي فلو سقط لسقطت الرسالة!!.. وقد نجح المدخلي كثيراً في خديعة

المناقشين بنسبة أخبار القعقاع إلى تلك المصادر الناقلة وكذلك نسبة أخبار القعقاع إلى كتب مختلقة ومنسوبة ظلماً إلى مؤرخين متقدمين كالواقدي ! ! حتى يثبت أن الواقدي قد روى أخبار القعقاع أيضاً .

وقد حاولت في الحلقة الماضية أن أذكر بعض الأدلة (الإسنادية) فقط على بطلان نسبة كتاب (فتوح الشام) للواقدي فكيف بالأدلة (المتنية) الكثيرة التي تكلم عن بعضها الدكتور محمد صامل السلمي ولو استطرد فيها لأخرجتنا من موضوع (القعقاع بن عمرو) إلى موضوع آخر عن (بطلان نسبة كتاب فتوح الشام) للواقدي ! ! .

لكن يستطيع من عنده أدنى إطلاع على كتب الواقدي أن كتشف بسهولة أن الكتاب منسوب ظلماً إلى الواقدي ! ! بل يظهر أنه أُلف بعد الواقدي بنحو ستمائة سنة ! ! وقد صرّح مؤلفه بأنه ينقل عن ابن خلكان والطبري وأمثالهما ممن لم يولد غلا بعد وفاة الواقدي ! ! فكان إثبات المدخلي لهذا الكتاب وغصراره على نسبته إلى الواقدي حيلة من الحيل الكثيرة المستخدمة في كثير من الدراسات الجامعية للسف، فالمدخلي ليس إلا واحداً من كثيرين يعتمدون على التحايل والضحك على القراء والمؤسسات العلمية معاً .

ولو كان غير ذلك لما وجدنا مثل هذه الأخطاء الثقيلة الوزن التي يندى لها جبين العلم والبحث والدراسة ! ! ثم إن الكتاب المنسوب للواقدي فيه روايات عن سيف بن عمر أيضاً ! ! انظر الصفحات (97، 105، 112، 191) من المجلد الثاني . . مع أن مؤلف ذلك الكتاب كثيراً ما يذكر روايات سيف ولا يشير إليه إلا نادراُ ! ! ربما أن حجته في هذا وهدفه مثل هدف المدخلي ! ! . .

والكتاب لا يحتمل المزيد من النقد لأنه مجموعة من الأساطير والأكاذيب والأهوال والمبالغات والقصص التي لم يفلح صاحبها في التلبيس إلا على أمثال المدخلي الذي يريد إثبات وجود القعقاع بشتى الوسائل والأساليب والمراجع ولو كان ذلك بالنقل عن كتاب (فتوح الشام) ! ! .

وسأستكمل موضوع المدخلي في الأسبوع القادم.

رد الماجد

أسعدني جداً ما كتبه الأستاذ حسام عبد الرحمن الماجد في (صحيفة الرياض) يوم السبت 9 صفر 1418هـ وكان الأخ حسام قد ردَّ عليَّ بمقال عنوانه (الأمر ليس كما تصور المالكي حول شخصية القعقاع)!! فآثرت أن أدخل مع الأخ حسام في حوار ذكر نقاطاً مهمة ينبغي النظر فيها وإنني قبل أن أدخل في الحوار مع الأخ حسام أحب أن أشكره على لغته العلمية ولعل مقاله أول مقال في الرد عليَّ لم أجد فيه طعناً في النيات ولا تشويهاً للأقوال ولا بتراً للنصوص فمقاله رغم صغر الحجم إلا أنه كان فيه تعقل إلى درجة كبيرة رغم أنني أختلف معه في كل الحجج التي أوردها وإليكم البيان:

الملحوظة الأولى:

حجة الأخ حسام (وهي الحجة الأولى) قوله: (إن دراسة التاريخ بهذا المنهج يؤدي إلى رفض أغلب التاريخ الإسلامي)! وفسر هذا الحكم بقوله: (لأن أغلب المؤرخين كان يطعن في توثيقهم مثل ابن إسحاق- الواقدي- المسعودي- أبي مخنف)..

أقول: أولاً: ليس صحيحاً أن دراسة التاريخ دراسة جادة أسانيد ومتوناً أنها ستؤدي إلى رفض أغلب التاريخ الإسلامي خاصة عصوره الأولى فهناك اسانيد كثيرة صحيحة عن الفتوح والمعارك والفتنة والأحداث التي حدثت في الصدر الأول فهذا التخوف والتهويل مبني على الجهل بالشيء لا العلم به ثم أنني لم اشترط في إثبات

أخبار القعقاع أن تصلني بأسانيد صحيحة ! ! بل قلت إن وجدتم صادقاً أو كذاباً ذكر القعقاع غير سيف بن عمر فأنا راجع إلى إثباته وتوثيق سيف ! ! بشرط ألا يكون ذلك (الذاكر للقعقاع) قد نقل عن سيف بن عمر وأظن هذا في غاية الإنصاف وليس من الإنصاف أن تلزمني بإثبات القعقاع بناء على روايات مؤرخ كذاب مثل سيف بن عمر ! ! .

ثم إن هذا التنزل الذي ذكرته في الحلقتين الماضيتين كان خلاف المنهج العلمي وقد عاتبني عليه بعض الأخوة وقالوا ليس من حقك أن تثبت العقاع بتوثق سيف برواية كذاب آخر ! ! لكنني كنت على يقين أن الكذابين لن يجرؤوا على مثل أكاذيب سيف ! ! أما خلط الأخ حسام بين ابن إسحاق والواقدي والمسعودي فهذا غريب لأن هؤلاء يتفاوتون فابن إسحاق ثقة عند أكثر المحدثين ولم يطعن فيها إلا القليل النادر بحجج واهية. نعم ابن إسحاق اتهم بالتدليس فيبقى ثقة فيما صرّح فيه بالسماع، أما الواقدي فقد وثقه بعضهم لكن أكثرهم على تضعيفه، أما أبو مخنف والمسعودي فدون الواقدي لكن هؤلاء المؤرخين مطعون فيهم هكذا بلا تفصيل فهذا تعميم غير علمي لا يقره المحدثون ولا المؤرخون . .

الملحوظة الثانية:

الحجة الثانية التي أوردها الأخ حسام قوله بأن (أجيالاً من المؤرخين المحققين مثل ابن كثير وابن الأثير وابن حجر . . جاءت بعد سيف بن عمر وقبلوا روايته وخصوصاً أخبار يوم القادسية ولم ينكر ذلك أحد من معاصريه ولا ممن جاء بعده) ! ! أقول: لم يخفَ عليَّ ساعة كتابة المقال الأول أن المؤرخين بعد القرن الثالث

بدأوا ينقلون روايات سيف بن عمر لأن الطبري ضمّن كثيراً منها في كتابه (تاريخ الأمم والملوك) وكان تاريخ سيف بن عمر مهملاً في القرن الثاني والثالث وأول من أشهره كان الطبري رحمه الله.

لكن لعل الأخ حسام يتفق معي أن البحث يتفق معي أن البحث التاريخي بل والحديثي لا يعترف بالتقليد فالدراسة والبحث عن الحقيقة المجردة لا ينتهيان بزمن معين دون غيره وقد استدرك ابن كثير وابن حجر على من قبلهما ولم يأخذا ببعض ما أثبته السابقون فما المانع أن نترك بعض ما نقله ابن كثير وابن حجر إذا تبين لنا بالدليل والبرهان أن الصواب في ترك ذلك.. وقد ذكرت في الحلقة الماضية أن ابن حجر نفسه استدرك أكثر من ألف من الصحابة على من سبقه ونفي صحبتهم وكم من حديث نقله بعض السابقين لكن لنا الحق في الحكم عليه بالصحة أو الضعف وكذلك الأحاديث والتراجم، ليس هناك نص شرعي ولا دليل عقلي يمنعنا من مخالفة ما ذهب إليه بعض المتقدمين.

أما قول الأخ حسام بأن أحداً من معاصري سيف لم ينكر وجود القعقاع!! فأقول: بل لم يقره أحد من معاصري سيف بن عمر!! بل لم يقر بوجود القعقاع أحد في القرون الثلاثة الأولى!! ولم يكن عندهم سيف مؤرخا ولو كان كذلك لنقلوا عنه الأخبار التاريخية بل كان عندهم أشبه ما يكون بالقصاص الذين لا يلتفتون إلى مؤلفاتهم وأخبارهم. ولذلك لم يذكره يحيى بن سعيد القطان ولا عبد الرحمن بن مهدي ولا وكيع بن الجراح وأمثالهم، بل ولا نقل عنه البخاري في تاريخه حرفاً واحداً كما لم ينقل عنه يحيى بن معين في تاريخه حرفاً واحداً ولا أبو زرعة ولا غيرهم من المتقدمين ولما ذُكر سيف بن عمر عن يحيى بن معين قال: (فلس خير منه) ثم تتابع الأئمة على تضعيفه وعدم الالتفات إلى رواياته التاريخية فضلاً عن الحديثية!! بينما كانوا ينقلون عن الواقدي أحياناً وينقلون بكثرة عن ابن إسحاق وموسى بن عقبة وعروة بن الزبير وأمثالهم، ولذلك لم تجد

المؤرخين ولا المحدثين في القرون الثلاثة الأولى ينقلون حرفاً من روايات سيف بن عمر لا عن القعقاع ولا غيره مما أورده سيف من أحداث، ثم جاء الطبري نهاية القرن الثالث ونقل عن سيف وكان للطبري منهجه الخاص أفصح عنه في المقدمة، ثم بدأ الناس ينقلون عن الطبري بلا تدقيق في الأسانيد ولذلك نجد ابن كثير يقول: (قال ابن جرير الطبري) ثم يسرد رواية لسيف أو غيره ناسباً إياها للطبري مع أن الطبري مجرد ناقل لهذه الرواية!!.

الملحوظة الثالثة:

الحجة الثالثة التي ذكرها الأخ حسام قوله: بأن (القول أن جميع أخبار القعقاع لم يذكرها إلا سيف بن عمر يحتاج لبحث واستقصاء)!!.

أقول: أنا أطمئن الأخ حسام –من جهتي– أنني لم أكتب إلا بعد أن استقصيت واستخرجت روايات سيف بن عمر (الثمانمائة) من تاريخ الطبري ودرستها رواية رواية وقرأت كتاب سيف المكتشف حديثاً الذي حققه الدكتور قاسم السامرائي وتتبعت أخبار القعقاع قدر طاقتي وأزعم أنني استقصيت الموضوع فيبقى على الأخ حسام أن يستقصي ويتأكد بنفسه فإن وجد خبراً أو ذكراً للقعقاع عند غير سيف فأنا راجع إلى قوله حتى ولو وجد ذلك الخبر عند راو كذاب فأنا أقبل بهذا بشرط ألا يكون ذلك الكذاب قد نقل الخبر من سيف وأظن أن هذا دليل على قوة الاستقصاء أو التسليم بما سبق من تفرد سيف بأخبار القعقاع..

ثم إن سيف بن عمر لم يتفرد بأخبار القعقاع فقط بل إن قرأت رواياته وقارنتها مع روايات الآخرين وجدت تاريخين مختلفين!! كل تاريخ له رجاله وشخصياته وأحداثه!! وقد يحاول أن يساير بعض المشهور حتى يخفي أكاذيبه على العوام..

الملحوظة الرابعة:

أما ما ذكره الأخ حسام من أن دمار بغداد قد اضاع كثيراً من المصادر! التي بإمكانها مساندة الروايات في إثبات القعقاع فهذه الحجة التي ذكرها الأخ حسام حجة مطاطة في ظني وينقصها البرهان والدليل لأنه على هذا القول يتوجب أن نتوقف في تضعيف الأحاديث الموضوعة!! لأنه يمكن أن تكون هناك مصادر ضاعت في دمار بغداد كانت تحمل متابعات وشواهد وربما أسانيد صحيحة لهذه الأحاديث الموضوعة!! ويمكن أن نتوقف عن تحريم بعض المحرمات لأنه يمكن أن تكون هناك مصادر فيها نسخ لهذه المحرمات!! وهكذا يمكن أن نشكك في كل حقيقة ونتوقف في رد كل باطل بهذا التعليل المطاط!!.

ثم إن دمار بغداد بولغ فيه كثيراً ولم يشكُ العلماء بعد دمار بغداد من ضياع مصادر مهمة ولم يذكروا مصدراً واحداً مهما ضاع في ذلك الدمار بل إن مصادر التراجم الموضوعة قبل دمار بغداد قد وصلتنا كاملة مثل تاريخ البخاري الكبير والصغير وتاريخ يحيى بن معين وكتاب الجرح والتعديل لابن أبي حاتم وغيرها فهؤلاء اتفقوا على إثبات التراجم المشهورة فلماذا لم نجد واحداً منهم يذكر ترجمة للقعقاع ولو اسماً فقط عن طريق غير سيف بن عمر!! أين ترجمة القعقاع في طبقات ابن سعد وكتب البخاري وطبقات خليفة بن خياط وطبقات مسلم وتاريخ خليفة وكتب الأنساب وغيرها؟!! لماذا تتفق هذه الكتب على ذكر من هو أقل شأناً وشهرة من القعقاع؟!! أم أن دمار بغداد لم يأت إلا على (تدمير) ترجمة القعقاع فقط!! ثم لم تكن كتب التراجم والتواريخ في بغداد فقط فقد كانت النسخ مع طلبة العلم في العراق والشام والحجاز واليمن ومصر والأندلس..الخ فلا يجوز أن نبالغ في الأمر فوق حقيقته ونعطل البحث والدراسة لاحتمال أن دمار بغداد قد أتى على ما يمنعنا من ذلك!!..

الملحوظة الخامسة:

ما ذكره الأخ حسام بأنه يصعب اختلاق شخصية مشهورة مثل القعقاع بأخبارها وأشعارها وقيادتها وإمارتها . .الخ . .

أقول: هذه حجتي في أنه لا يعقل أن مثل هذه الشخصية تبقى مجهولة ثلاثة قرون!! ولم يعرفها إلا مؤرخ كذاب!!.

أما كون العهد والمدة بين سيف والقعقاع قريبة لا تبلغ قرناً فلا تدفع الحجة الأقوى السابقة وقرن من الزمان ليس بالمدة اليسيرة كما أن بقاء القعقاع مجهولاً ثلاثة قرون ليس بالأمر المعقول أبداً . .

الملحوظة السادسة:

ما ذكره الأخ حسام بأن (الأخبار المختلفة يكون وراءها هوى أو تعصب لمذهب أو نزاع) فهذا صحيح وسبب اختلاق سيف للقعقاع وغيره أن سيفاً كان معروفاً بالتعصب لقبيلته بني تميم كما كان بعض المؤرخين الضعفاء مشهورين بالتعصب لقبائلهم. ولذلك نجد في روايات سيف عشرات الأبطال من بني تميم لم يذكرهم غيره . .

أما ما ذكره الأخ حسام من أن (الأخبار التاريخية لا تحتاج كل هذا التوثيق) فأقول: أيضاً الأخبار التاريخية لا يعني أن نقبل الأكاذيب التي تخالف ما اتفق عليه المؤرخون والمحدثون على حد سواء أما قوله: (إن الثابت مقدم على النافي) فهذا صحيح إذا كان المثبت والنافي في مستوى واحد من القوة أما أن يكون الثابت من طريق كذاب يعارضه مئات الثقات والضعفاء على حد سواء فهذا غير مقبول ولا يقره عاقل . .

وأخيراً أشكر الأخ حسام الماجد على اهتمامه ومشاركته..

القعقاع بن عمرو حقيقة أم أسطورة (4)

نكمل اليوم أبرز الملاحظات على رسالة الأخ الأستاذ عبد الباسط مدخلي التي كان عنوانها (القعقاع بن عمرو...) وكنا قد ذكرنا في الحلقات الماضية ستاً من الملاحظات والآن إلى بقيتها فنقول:

الملحوظة السابعة:

قال الأخ المدخلي: (كما اعتمدت على عدة مصادر منها كتاب الطبقات لابن سعد)!!

أقول: للأسف أنني أستطيع بكل ثقة أن أقول أن هذا غير صحيح البتة فالقعقاع لم يترجم له ابن سعد ولم يذكره بحرف واحد، والطبقات موجودة بين أيدينا وليست غريبة فإن جاءني الأخ المدخلي أو غيره بترجمة للقعقاع في طبقات ابن سعد بإسناد ليس فيه سيف فأنا راجع إلى قوله وقد بحثت في الطبقات ولم أجد للقعقاع ذكراً ولا خبراً ولا ترجمة ولا اسماً!! ثم أن ابن سعد توفي بعد سيف بن عمر بنحو ستين سنة فإن ذكر القعقاع فلن يكون عن غير سيف أقول هذا على افتراض أننا لو وجدناه مترجماً بلا إسناد.

الملحوظة الثامنة:

ثم ذكر الأخ المدخلي مصادر أخرى اعتمد عليها واثبتت القعقاع فقال: (وتاريخ الأمم والملوك للطبري)!!

أقول: لا شك أن هذه زلة علمية أخرى من أخي المدخلي وفيها استغفال للمشرف والمناقشين والقراء لأنه من المعلوم عند المدخلي أن كل أخبار القعقاع الموجودة في تاريخ الطبري إنما رواها سيف بن عمر وقد صرح بذلك الطبري في بداية كل أسانيد الروايات التي فيها القعقاع.

الملحوظة التاسعة:

ثم أثنى على تاريخ الطبري بقوله: (وهو المصدر الوحيد الذي تحدث بإسهاب عن القعقاع بن عمرو حيث فصل أحداث المعارك الإسلامية تفصيلاً دقيقاً...) ! !

أقول: سبق البيان بأن المتحدث والمفصل لتلك الأحداث هو سيف وليس الطبري فالطبري مجرد ناقل فقط ولا ذنب له في إثبات الشخصيات المختلقة والروايات المكذوبة التي أوردها سيف بن عمر.

الملحوظة العاشرة:

ثم ذكر الأخ المدخلي عدة مصادر أخرى كتاريخ دمشق لابن عساكر وتاريخ ابن الأثير والبداية والنهاية لابن كثير وعجم البلدان للحموي وكتب التراجم وأوهم القارئ بأن هؤلاء نقلوا أخبار القعقاع استقلالاً ! ! وليس نقلاً عن سيف ! !

الملحوظة الحادية عشرة:

قول المدخلي ص (ز): (أشرت إلى دور القعقاع في معركة فحل وأن كان المرخون قد أغفلوا الحديث عن هذا الدور ! !)

أقول: كيف عرفت ذلك الدور وقد أهمله المؤرخون؟! ثم إن المؤرخين لم يذكروا كل أخبار القعقاع استقلالاً فلا يجوز أن ننسب للمؤرخين ما انفرد به سيف الكذاب.

الملحوظة الثانية عشرة:

تكلم المؤلف من ص3 إلى ص25 عن نسب بني تميم ولم يظفر بنسب القعقاع بن عمرو كما لم يجد أحداً من النسابين المتقدمين أو المتأخرين ذكره بحرف واحد!! وفي هذا أكبر دلالة على اختلاق القعقاع لأنه لو كان موجوداً على هذه الشهرة التي يزعمها سيف فستتسابق القبائل والأفخاذ والبيوت على إثبات نسبته لها وتدوين ذلك وسيعرفه النسابون الذين ذكروا مَنْ هم أقل شأناً من القعقاع بكثير!! والغريب أنه لا يوجد ولم يذكر بحرف واحد عند النسابين أمثال عبيد بن شربة والبلاذري وابن دريد وابن حزم والسمعاني ومؤرج السدوسي والمدائني ومصعب الزبيري وابن حبيب والزبير بن بكار والهمداني وغيرهم من علماء النسب مع أن بعض هؤلاء بعد سيف بن عمر! والعاقل الباحث يستطيع أن يستنتج اختلاق القعقاع من هذا أيضاً.

الملحوظة الثالثة عشرة:

تكلم الأخ المدخلي عن (منازل بني تميم) من ص26 إلى ص45 ولم يجد منزل القعقاع أيضاً!! ولا مقر سكنه أو تنقله!! وما ذكره الأخ المدخلي عن منازل بني تميم لا يفيد إثبات القعقاع إن لم نجد موضعه ومسكنه من غير طريق سيف بن عمر لكن الظاهر أن سيفاً نفسه نسي أن يذكر للقعقاع منزلاً فكان ذكر المنازل هذا خارج الموضوع.

الملحوظة الرابعة عشرة:

تكلم المدخلي من ص46 إلى ص56 عن مكانة بني تميم في الجاهلية وليس هناك أحد ينكر مكانة بني تميم ورجالاتهم وأثرهم الكبير في الجاهلية والإسلام لكن هذه المكانة ليست دليلاً على إثبات وجود القعقاع بن عمرو الذي انفرد بكل أخباره راو كذاب متهم بالزندقة ثم لم يذكر المدخلي أي دور للقعقاع في الجاهلية لأن سيفاً لم يفعل ذلك ! !

الملحوظة الخامسة عشرة:

تكلم المدخلي من ص57 إلى ص67 عن (مكانة بني تميم في الإسلام) وهذا أيضاً مما يتفق الناس فيه مع المؤلف ولا ينكر مكانة بني تميم في الإسلام إلا مكابر أو متعصب أو جاهل لكن هذا لا علاقة له بإثبات وجود القعقاع ولو أن سيفاً ضَخَّم دور بعض المشهورين من بني تميم لانطلى هذا على كثير منا لكنه اختلق شخصية وهمية بهذه الدرجة من الشهرة فاكتشف الناس كذب سيف في التاريخ والأحاديث أيضاً .

الملحوظة السادسة عشرة:

ذكر الأخ المدخلي ص57 أن القعقاع بن عمرو كان من الوافدين على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في السنة التاسعة من الهجرة! !

أقول: وهذه لم يذكرها مؤرخ إطلاقاً حتى سيف بن عمر لم يذكر هذا ؟ !

ثم وجدت المدخلي ينسب هذا في الهامش لكتاب (الطريق إلى المدائن) للأستاذ أحمد كمال فلما رجعت لهذا المصدر (المعاصر) لعلي أجد ما يدعم قول المدخلي وجدت العكس وإن كمال لم يذكر هذا وإنما ذكر أن

القعقاع أسلم في تلك السنة ولم يذكر وفادته على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، ثم إن الأستاذ كما نفسه لم يحل على مصدر ويظهر إنما ذكر ذلك توقعاً فقط ! ! ثم أصبح هذا التوقع حقيقة عند المدخلي وسيأتي بعد المدخلي من ينسب هذه المعلومة للمدخلي نفسه مثلما ننسب الآن أخبار القعقاع للطبري للطبري وابن كثير مع أنهما إنما نقلا تخيلات سيف بن عمر مثلما نقل المدخلي توقعات كمال ! !

الملحوظة السابعة عشر:

عقد المدخلي فصلاً ص74 بعنوان (نسب القعقاع ونشأته) ولم يذكر عن نشأته شيئاً لأن سيفاً لم يذكر ذلك ! !

أما نسبه فقد ذكر المدخلي أن اسمه هو (القعقاع بن عمرو بن مالك) من (بني عقفان) وهذا كله من كلام سيف ! ! انظر الطبري (275/3) والغريب أن الأخ المدخلي نسب ذلك إلى الطبري كالعادة ثم ذكر المدخلي أنه لم يجد ذكراً لعقفان في بني تميم إلا (عقفان بن سويد) وهذا ينتهي نسبه إلى (مناة بن تميم) ! ! بينما القعقاع ذكر سيف أن ينتمي إلى قبيلته (بني عمرو بن تميم) ! ! فوجدنا أن المدخلي ذكر نسباً جديداً لم يذكره سيف ولا غيره وسيأتي من الباحثين من ينقل عن المدخلي مثلما نقل المدخلي عن سيف وكمال ! ! .

الملحوظة التاسعة عشرة:

ثم ذكر المدخلي قولاً آخر في جد القعقاع بأن اسمه (معبد) ثم ذكر أنه من فرسان العرب المشهورين ونسب ذلك لابن عساكر وابن عساكر روى كل أخبار القعقاع عن سيف بن عمر طالع المطبوع من تاريخ دمشق (352/49) تحقيق الأستاذ عمر بن غرامة العمروي فثناء ابن عساكر على القعقاع إنما هو تلخيص لما رآه في

روايات سيف بن عمر التي ساقها في تاريخه وعلى هذا فلا يجوز أن نقول أن ابن عساكر اثبت وجود القعقاع أو أثنى عليه بعيداً عن سيف ! !

المُلحوظة العشرون:

قول الأخ المدخلي ص 74 (ولم يذكر المؤرخون شيئاً عن مولد القعقاع ونشأته قبل إسلامه..)

أقول: يقصد لم يذكر ذلك سيف ! ! فالأخ المدخلي –سامحه الله- إذا ذكر رواية من طريق سيف في إثبات القعقاع نجده يقول: (ذكر المؤرخون ! !) هكذا بالتعميم ! ! وإذا لم يذكر سيف شيئاً بجده يقول: (لم يذكر المؤرخون ! !) وتجنب المدخلي لكلمة (سيف بن عمر) يحقق بها مطلبين.

- المطلب الأول: إهمالاً لذكر سيف لأنه المصدر الوحيد الذي بنى عليه المدخلي رسالته.

- المطلب الثاني: لما في التعميم من إيحاء بأن المدخلي استقصى وأنه لا يعتمد على سيف فقط بل كل (المؤرخين ! !).

الملحوظة الحادية والعشرون:

نقل الأخ المدخلي ص75 قول أبي بكر في مدح القعقاع عندما قال: (لصوت القعقاع خير من ألف رجل ! !) وقول أبي بكر (لا يهزم جيش فيهم مثل هذا ! !)

ونسب المدخلي الرواية للحافظ في الإصابة (239/3) والثانية للطبري (347/3) مع أن الحافظ والطبري إنما نقلا ذلك عن سيف ! ! ثم هل يعقل أن يقول أبو بكر مثل هذا الكلام في القعقاع؟ ! إذا كان لا يهزم جيش فيه مثل القعقاع ! ! فهل القعقاع بهذه النصرة التي لم يتحقق حتى للأنبياء ! ! فقد هزم المسلمون يوم أحد وفيهم

رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وسائر الأبطال كحمزة وعلي وعمر وغيرهم فهل القعقاع أفضل من هؤلاء ؟! هذا ما أراد سيف إثباته بنسبة هذه الرواية المكذوبة على أبي بكر رضي الله عنه.

الملحوظة الثانية والعشرون:

قال المدخلي ص75: (هل وصفه أبو بكر الصديق رضي الله عنه بهذه الأوصاف المجيدة بدون سابق معرفة به وببطولاته!! وبمكانته في قومه!!)

أقول: بل هل يعقل أن رجلاً كهذا لا يكون معروفاً على مدى ثلاثة قرون من الزمان؟! هذه الأوصاف التي ألصقها سيف بالقعقاع والتي لا تتوفر في الأنبياء!! هل يعقل أن توجد في رجل لم يذكره أحد قبل سيف بن عمر؟!

الملحوظة الثالثة والعشرون:

قول المدخلي ص77 (وقد تقصيت أكثر المصادر التي وقعت تحت يدي فلم أجد ذكراً أو ترجمة لحياة القعقاع)!!

أقول: هذا القول غريب لا أدري كيف قاله المدخلي!! فإن في تلك المصادر أخبار كثيرة لكنها كلها تنقل عن سيف بن عمر!!

الملحوظة الرابعة والعشرون:

ذكر المدخلي ص78 أنه (شد الرحال)!! لزيارة قبر القعقاع في مدينة المنزلة بمصر فوجد بالفعل قبراً ومسجداً باسم القعقاع بن عمرو التميمي!! ثم أرفق ذلك بصورة فوتوغرافية للمسجد والقبر!!

أقول: هذا كله ليس دليلاً على صحة نسبة هذا القبر للقعقاع فكم من قبر منسوب كذباً إلى مشهور أو مغمور أو معدوم.

ولعل قصة (قبر الحسين) ووجوده في أكثر من أرض دليل على هذا وكذلك قبر زينب وكذلك العوام تجدهم ينسبون كثيراً من القبور إلى أبي زيد الهلالي وعزيز بن خاله!!

ومن الطرائف أن قبر (عزيز بن خاله) تجده في أكثر من مكان في الجنوب (عندنا) وفي بلاد بني الحارث بالطائف وفي نجد ومصر وتونس وهكذا!! مع أنه قد لا يوجد رجل اسمه (عزيز بن خاله) وهذا الأخير يزعمون أنه ابن لأبي زيد الهلالي وقصصه على ألسنة العوام في كثير من الأماكن فاستدلال المدخلي بالقبر المنسوب للقعقاع ليس دليلاً صحيحاً ولا مقنعاً بسبب ما انتشر بين الناس من نسبة قبور لغير أصحابها.

الملحوظة الخامسة والعشرون:

قول المدخلي ص78 (ولم أجد مصدراً واحداً يتحدث عن جهاد القعقاع في مصر أو أنه سكن مصر ما عدا الواقدي في كتابه فتوح الشام)!! أقول: الكتاب مكذوب على الواقدي والسلام!! ثم إن ذلك الكتاب إنما ذكر فتوح القعقاع هناك قبل فتوحه في العراق واستقراره بها!!

الملحوظة السادسة والعشرون:

قوله: (كما أنه لم يذكر لنا المؤرخون أن القعقاع اشترك في معركة أو نشاط حربي بعد معركة صفين)!!

أقول: بل ليس له ذكر في صفين أيضاً لسبب بسيط وهو أن سيف بن عمر لم يكتب عن وقعة صفين وإنما انتهى كتابه إلى موقعة الجمل فقط ! ! أما قول الأخ (المؤرخون) فهذا تضخيم لرواية سيف فقط ! !

والخلاصة في هذا الفصل الذي خصصه الطالب عن (نسب القعقاع ونشأته) لم يثبت فيه نسب القعقاع ولا نشأته ولا وجوده أصلاً وكل ما أحال عليه الطالب –باحتيال- تم اكتشافه وأنه كله عن سيف بن عمر أو عن كتب منسوبة كذباً وزوراً لغير أصحابها .

القعقاع بن عمرو حقيقة أم أسطورة (5)

ينسب إلى أحد الفلاسفة أنه قال: (إذا شرحت فكرتك عشرين مرة ثم ظننت أنه قد فهمك الآخرون فأنت متفائل أكثر من اللازم. . ! !)

وفي ظني أن ذلك الفيلسوف كان متفائلاً (أكثر من اللازم) لأن المصيبة اليوم ليس في (عدم فهم الآخرين) بقدر ما تكون المصيبة في تعمدهم (إساءة الفهم) ومحاربتهم للحقائق بطرق ملتوية وبتر لكلام الخصوم وتحميل الكلام ما لا يحتمل. فمثل هؤلاء لن يفيد أن نشرح لهم عشرين مرة ولا مئة مرة. . ! ! مادام أن النية مبيتة لتحريف المقاصد وإساءة الفهم واتهام في النيات. . إلى آخر المعزوفة.

أقول هذا حتى لا يمل بعض الأخوة القراء إن كررنا بعض الإيضاحات والأقوال وشرحناها بطريقة تمكن من وصول الحقيقة مجردة إلى أكبر قدر ممكن من الناس ثم بعد هذا من أراد أن يسيء القراءة والفهم فإنه يستطيع ذلك بسهولة ولذة أيضاً. . ! !

وقبل أن أستطرد في سرد بعض الملاحظات على رسالة الأخ المدخلي عن (القعقاع بن عمرو) أود هنا أن أشكر كل الأخوة الذين شاركوا في الحوار سواء من وافقني منهم أو خالفني، فأشكر الأخ حسام الماجد والأخ خالد البكر وهذا الشكر لا أقوله منة أو مجاملة وإنما واجب، لأن القارئ (الإيجابي) الذي يقرأ الموضوع ثم يتفضل ويكتب عنه نقداً أو تأييداً أو إضافة ثم يرسل للصحيفة ويتابع موضوعه فهذا أفضل (إيجابية) من القارئ الذي يقرأ الموضوع بلا إيجابية مع أن القارئ للموضوع أفضل (إيجابية) من الذي لا يقرأ أصلاً.

منهج أمثل في الردود

لكن الأخوة الذين يكتبون الردود والتعقيبات (مؤيدة ومعارضة) هم بحاجة إلى معرفة المنهج الأمثل والآلية الصحيحة قبل كتابة المقال وبعثه إلى الصحيفة ولعل من أبرز ملامح هذا المنهج التركيز على ثلاثة أمور هي:

(1) القراءة قبل النقد: فمن العيب العلمي أن يحكموا لأحد الكتاب أو على رأيه في المسألة قبل أن يقرأ المقال نفسه..!! وللأسف أن كثيراً من الناس ما أن يسمعوا نقداً لأحد الكتاب حتى يسارعوا في الموافقة وتبني ذلك النقد بما فيه قبل أن يقرأ الفرد منهم ثم يتخذ القرار عن قناعة تامة. فنحن مصابون بالعقل (الجمعي) والتفكير (الجماهيري)..!!

فإذا وجدنا المجلس يذم الكاتب الفلاني ذممناه..!! وإذا وجدنا ذلك المجلس يمدح مدحنا..!! ونحن في الحالتين لم نقرأ ولم نتبين..!! وهذا يذكرني بما ذكره بعض الأخوة من أن رئيساً خطب في حفل كبير وذكر بأنه سيشن حرباً على دولة أخرى..!! فصفق له الحاضرون.. فاستدرك قائلاً (لكن الحرب لا تعطي نتيجة سنحاربهم بالسلام والمفاوضات)..!! فصفق له الحاضرون أيضاً..!! فنحن مع أول من تكلم ولا نعارض الأخير..!! وهذه سلبية ينبغي أن نعالجها.

ونحن في مجالسنا قريبون إلى حد كبير من (المصفقين) لذلك الرئيس، فإذا (حشّ) أحد الحاضرين في كاتب (تتبعناه) وإن مدح (تبعناه) فنحن بحاجة قبل (موافقة الآخرين) أو مخالفتهم أن نستأذنهم ونقول إننا لا نستطيع الآن (اتخاذ موقف) لسبب بسيط وهو (أننا لم نقرأ ما قرأتموه) فإذا قرأنا ذلك المقال سنخبركم بموقفنا..!! سيقول ذلك المتكلم ألا تثقون فيَّ..؟! أنا قرأت المقال وهو موجود وو...الخ.

قولوا له: إذا كان بعض كبار المحدثين قد أخطأوا ونقلوا بعض الأحاديث مبتورة وفهموا بعض الأحاديث على غير وجهها فمن باب أولى أن تفهموا خطأً أو تنقلوا خطأً..!! وهكذا نستطيع بالأسلوب السهل المتعقل أن نقنع من في المجلس بصحة موقفنا مع الإصرار عليه وندعوهم إلى هذا وننقد طريقتهم في اتخاذ الموقف.

(2) الفهم بعد القراءة: إذا استطعنا أن نقرأ المقال لكاتب من الكتّاب فمن العيب العلمي أيضاً ألا نفهم ما كتبه الكاتب..!! فقد قامت الحجة علينا إن أسأنا الفهم. وللأسف أن بعض القراء –بعد قراءته لمقال ما– لا يحسن فهم المقال ثم يعمم هذا السوء –سوء الفهم– وينقله للناس أو ينقد وهو لم يفهم الموضوع فلذلك نجده يكرر بعض الشبه والاعتراضات التي سبق للمقال أن ناقشها..!! إذن فالقارئ قبل أن يحكم للكاتب أو عليه، مطالب بأن يقرأ ما كتبه الكاتب ثم يفهمه.

(3) العدل بعد الفهم والقراء: بعض القراء قد يقرأ المقال –وهذا جيد– ويفهمه –وهذا أجود– لكنه لا يستطيع أن يعدل لأن المقال أو الأفكار لا تتفق مع ما قد يراه مسبقاً..!!

فهو يحاكم حقائق المقال إلى مقياس خاص به وهذا المقياس قد يكون ظالماً أو غير منضبط ولا تحكمه المعايير فلذلك نجد القارئ –أحياناً– يظلم الكاتب ويعتمد تحريف أقواله وتفتيحها وبتر الاستدراكات والتوضيحات

وربط أفكار الكاتب بأمور لم تخطر له على بال..!! فهذا من شر أنواع الظلم وهو يفوق -في نظري- ظلم الذي يحكم ولا يفهم أو ظلم الذي يحكم ولا يقرأ.

إذن فنحن بحاجة إلى تذكير أنفسنا بأنه قبل النقد والاعتراض يجب أن نقرا ثم نفهم ثم نعدل في الحكم. أما ما هو سائد من ظلم قبل القراءة وقبل الفهم فهذا محرم شرعاً ومذموم عقلاً وفطرة.

ثم ر يستطيع أحد أن يجبر القارئ على حسن القراءة وحسن الفهم والعدل ولذلك يستطيع القارئ أن يعبث كما يشاء ويرسله للصحيفة أو ينشره في مجلس من المجالس..!! ولعل من أخطاء القارئ التي يجب التنبيه عليها أنه يفهم أحياناً (بفهم الآخرين) ويقرأ (بعيونهم)..!! ويسمع (بآذانهم)..! وينطق (بألسنتهم)..!! ويظلم (بظلمهم)..!! فلذلك سيأثم (بآثامهم) أيضاً..!! لأنه ارتضى لنفسه المتابعة ولو على باطل لأن هذه المتابعة توفر له جواً (اجتماعياً) جيداً أو خدمة مؤقتة..!! أو مجاملة (وظيفية) تفيده عند اللزوم..!! وينسى هذا القارئ المسكين أنه محاسب على عمله وأن غيره لا يستطيع تحمل الآثام عنه.

إذن فالقارئ مطالب باتخاذ الموقف عن قناعة ولن يستطيع اتخاذ هذا الموقف إلا بمعرفة (الآلية الصحيحة) التي توصله لهذا (الموقف) وقد سبق شرح أبرز جوانب هذه الآلية وهي (القراءة+ الفهم+ العدل).

ولو طبق القراء هذه الآلية بدقة لاتفقنا في كثير من الأمور التي يجب أن نتفق فيها ولأصبحنا من المجتمعات المثالية في (فهم الحوار) و (فهم الآخرين) هذا الفهم الذي لن ننهض بدونه لأنه (أي الفهم) مفتاح كل حسنة وعنوان كل إيجابية من إيجابيات العلم والفكر والمواقف أيضاً.

(رسالة الأخ المدخلي أيضاً)

بعد هذا الإيضاح الذي شجعنا عليه مقولة الفيلسوف التي سقناها في بداية المقال.. نعود للأخ عبد الباسط المدخلي وأحب أن أوضح أيضاً بأن المدخلي صاحب الرسالة المنتقدة يبقى أخاً في الله لا أكن لشخصه الكريم إلا كل خير ودعاء. أقول هذا لأن بعض الناس –بغير هذا التوضيح– قد يظن أن بيني وبين من أتحاور معهم عداوات شخصية..!! كما أن بعض الإخوة لا يستوعب أنني أثني على أحد ثم أرد عليه..!! فهم يربطون بين الرد والقدح في الأشخاص وهذا ربط يفعله العامة ويتابعهم عليه بعض الخاصة.

إذن فكوني أكن لأخي عبد الباسط المدخلي أو غيره التقدير لا يعني هذا (تعطيل النقد الذاتي) ولا يعني إقراره على ما ذهب إليه كما أن الأخ عبد الباسط أو غيره لا أطلب منه الموافقة مطلقاً على كل ما أقول فله الحق في أن يرد ويبدي وجهة نظره مدعمة بالأدلة والبراهين، ولعل أخشى ما أخشاه على الأخ المدخلي التأثر بالوسط الذي هو فيه فكثير من الزملاء والأصدقاء يشجعون المنقود على الإصرار على الخطأ وتبرئة الساحة وإرجاع الكيل كيلين..!! فتضيع الحقائق وسط ركام الردود والمجادلات، ويساعد في ضياع الحقائق أن أكثر القراء عندنا أو كثيراً منهم عندهم ضعف ظاهر ولا يستطيعون اتخاذ قرار ولا معرفة الصواب والخطأ فيقعون لقمة سائغة (لآخر صيحة..!!).

أرجو أن لا يفهم القراء أنني أعمم وإنما قلت (أكثر أو كثير).

على أية حال: نحن نجد في تاريخنا الإسلامي أروع الأمثلة للرجوع إلى الحق رغم مخالفة الاتباع والرعاع وغوغاء المؤيدين فإن لم ينتبه العاقل لهذا فسيجد نفسه متبنياً لموقف خاطئ لا يرتضيه لنفسه.

نحن نرفع شعار (كل يؤخذ من قوله ويرد) لكن عند التطبيق لا نأخذ الأقوال ممن نحب ولا نرد أقوال إلا من نكره..!! وهذا الحب والبغض ليس مبنياً على أساس صحيح من دين أو عقل وإنما مبنياً على المصالح والآراء الجماهيرية ومجاراة السائد بما فيه من تقليد وركود وتلقين.

نعم إن النظريات الجميلة موجودة لكن نظريات وقد حل مكانها أخرى جاهلة لها وقعها التطبيقي مثل من أنت..؟! هل سبقك أحد..؟! هل يعقل..؟! غير ممكن..؟! ما ترك الأول للآخر.. إلخ).

وكان لهذه النظريات الجاهلة أثرها المدمر على النظريات القرآنية والحديثية التي تنهى عن التقليد وتأمرنا بالتدبر والتفكر والتعقل والتفقه.. فأصبح التقليد علامة التسنن والاتباع وأصبح البحث الجاد علامة المخالفة والابتداع..!!

وقد عاني كثير من نوابغ السلف الصالح من هذه النظريات المستحدثة وتستطيعون استعراض أئمة الإسلام الكبار الذين كان لهم أثرهم الطيب على العلم والمعرفة هل تجدون واحداً منهم لم يتهم في نيته أو عقيدته أو دينه..؟!! هل تجدون أحداً منهم لم ينله الأذى من أفعل وألسنة العوام المقلدين..؟! كلكم تذكرون ماذا حدث لسعيد بن المسيب والشافعي وأحمد وأبي حنيفة ومالك وابن تيمية وابن القيم والمزي وغيرهم.. هكذا تجد المحاولات (الماكرة) لإسكات العلم النافع الذي لا يدرك منفعته إلا أجيال من العصور التالية.

أيضاً هذه إيضاحات التي أقولها الآن دفعنا إليها كلمة الفيلسوف فلا تسأموا من التكرار فالكاتب أو المؤلف أو صاحب الرأي في أمس الحاجة إلى التوضيح ثم التوضيح ثم التوضيح.

عودة للرسالة ومصادرها

رأينا في الحلقة الماضية أن الأخ المدخلي عقد اول فصول كتابه بعنوان (القعقاع بن عمرو ومكانته في بني تميم) ثم تكلم عن نسب القعقاع ونشأته وأحال في هذا الفصل على أحد عشر مصدراً كلها نقلت من سيف بن عمر.. !! وسبق أن قلنا إنه في هذا الفصل لم يثبت وجود القعقاع فضلاً عن نسبه ونشأته ومكانته.. الخ.

والغريب أن الأخ المدخلي لم يذكر (سيفاً) في المصادر البتة.. !! وهذا –كما قلت سابقاً– يظهر أنه هدف أساسي من أهداف الأخ المدخلي حتى لا يتهم بأنه اعتمد على مصدر واحد غير موثوق.. !!

مصادر المدخلي (116مصدراً.. !!)

وأغرب من هذا كله أن المدخلي في رسالته قد أحال على مائة وستة عشر مصدراً ومرجعاً.. !! سردها في نهاية الرسالة في ثلاث وعشرين صفحة.. !! كلها نقلت أخبار القعقاع من سيف بن عمر وليس هناك مصدر من تلك المصادر ذكرت القعقاع استقلالاً.. !! فلو أراحنا المدخلي وأراح نفسه بذكر مصدر واحد فقط وهو سيف لكان أفضل وأصدق وأقل تكلفة وجهداً من كتابة ذلك (الثبت) الطويل الذي يبدأ بالقرآن الكريم وانتهى بمحمد عمارة.. !!

والغريب أن المدخلي لم يذكر (سيف بن عمر) في هذه المصادر والمراجع البتة.. !! وهذا فيه استغفال للقراء والمناقشين يصلح لأن يسجل نادرة من نوادر الرسائل الجامعية في هذا العصر.

كل هذه المصادر –سوى القرآن الكريم– نقلت أخبار القعقاع عن سيف بن عمر الكذاب.. !! الذي يعترف المدخلي بأنه (متروك الرواية) لكن (لم يترك) رواياته.. !!

أما عن سبب ورود القرآن الكريم هنا فقد ذكره المدخلي لأنه زعم –تبعاً لسيف– أن القعقاع صحابي..!! ثم جاء وصب آيات الثناء على الصحابة على هذا الصحابي الذي ليس له وجود..!!

والغريب في القعقاع أنه يزحف بقوة فهو لم يكن موجوداً أصلاً فزعم سيف أنه شهد وفاة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ثم توقع أحمد كمال أنه (أسلم في السنة التاسعة) وزاد الفقيهي بأن القعقاع (وفد على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في السنة التاسعة) وتوقع عبد الله صقر (أنه شهد الخندق)..!! وقد يأتي آخر وينقل هذه (التوقعات) على أنها حقائق مثلما نقلنا تخيلات سيف بن عمر (القصصية) على أنها حقائق وألفنا في ذلك المؤلفات والرسائل الجامعية..!! وقد يأتي آخر ويتوقع أن القعقاع شهد بدراً وأنه خامس الخلفاء الراشدين وهكذا نجد أكاذيب سيف بن عمر قد سرت في دمائنا من حيث لا نشعر وأصبح لها فعل المخدر..!! نستلذ الكذب ونسير غير مبالين بمنهج علمي ولا أصول تحقيق ولا إثم الكذب لأننا نشعر أننا أصحاب (نيات حسنة) وهذا الشعور نجعله مبرراً لنا لمخالفة المعايير والضوابط البحثية، إضافة إلى مخالفة ما نعد الناس به من التزام بهذا المنهج وتلك الضوابط.

وأخيراً: فقد حاولت أن أخصص هذه الحلقة الإيضاحات لأننا بحاجة من وقت لآخر لتذكير الناس بما ننادي به وما نتبناه من آراء نزعم أن لها أدلتها العلمية وما دام أن هذه الإيضاحات متعلقة بموضوع (القعقاع) فقد جعلناه في السلسلة نفسها لهذا السبب ولسبب آخر ذكرناه وهو مصادر ترجمة القعقاع التي نقلها لنا المدخلي.

القعقاع بن عمرو حقيقة أم أسطورة (6)

وقفة مع الردود والتعقيبات

كما رأى كثير من الأخوة القراء فقد كثرت ردود الأفعال حول قضية القعقاع بن عمرو مؤيدة ومعارضة وقد علقت سابقاً على بعض الردود ثم شارك الأخوة منصور الفيفي وعبد الإله الفنتوخ وعادل الماجد وعبد الله الناصري وعبد الرحمن الفريح وعلي رضا ، ثم كان آخر هؤلاء الدكتور حسن الهويمل فهذه ست من المقالات حول الموضوع بين مؤيد ومعارض ولذلك أعذروني في تناول هذه الردود باختصار شديد في عدة نقاط فأقول:

أولاً: في ظني أن كثرة ردود الأفعال أمر سار وجيد وينبغي ألا نغضب من السلبيات المصاحبة لهذه الكثرة فمن الطبيعي جداً أن تزجر بعض الردود في أودية بعيدة عن الموضوع فلذلك لن أرد على كثير من الأفكار التي طرحها بعضهم لأنهم خارج الموضوع.

ثانياً: التحدي العلمي مشروع خاصة في الأمور الواضحة جداً وهذا التحدي كان من الأسباب التي حفزت الإخوة على التعقيبات المؤيدة والمعارضة وليس في التحدي غلا الثقة العلمية وليس زهواً ولا تكبراً فتحديات السلف في المسائل العلمية لا تكاد تحصر.

ثالثاً: لا يزال التحدي وما ذكره الدكتور الفريح من سقوط التحدي كان مجرد (تهويشة) ! ! على القراء الذين لا يستطيعون البحث وسترون في هذا الرد أنه لم يستطع أن يجد ترجمة للقعقاع ولا خبراً إلا من طريق سيف بن عمر كما أن قاتل أبي لؤلؤة لم يذكر أحدٌ تميميا وأن المصادر وفي مقدمتها صحيح البخاري مجمعة على أن أبا لؤلؤة قتل نفسه وسأذكر ذلك بالتوثيق ليرجع إليها من شاء مع أن الموضوع الثاني لا يمثل عندي أهمية وإن كان له دلالة على ميول سيف.

رابعاً: تمتاز الردود (المؤيدة) بالتقعيد العلمي والبحث وترك التقليد كما رأينا في رد الأستاذ عبد الإله الفنتوخ مثلاً بينما كانت الردود المعارضة تخرج عن الموضوع كثيراً وتتشبث بالتقليد ولا أقول هذا مجاملة للردود المؤيدة (لأنها أيدت!!) ومن شاء المقارنة فليرجع إلى الردود نفسها أما طول المقال فليس مقياساً!! ولا الشهادة الأكاديمية!!

خامساً: القارئ الباحث هو الذي سيعرف الحق من المبطل وسيعرف من يستغفله ممن لا يفعل ذلك؟ أما القارئ الذي لا يرجع ولا يبحث فسيكون عرضة لآخر الردود!! أو يقف بجهل مع قول من الأقول لذا نود من القارئ أن يحاكم كل من كتب في الموضوع ويكتشف بنفسه وسيجد مفاجآت كبرى!! ولآن ليسمح لي القراء في التعليقات المختصرة على الردود المعارضة فأقول:

رد علي رضا

رد الأستاذ علي رضا في صحيفة المسلمون الجمعة 29/صفر/ 1418هـ والأستاذ علي رضا مثلما لا يحسن المعارضة فهو لا يحسن التأييد فقد أيدني في أن القعقاع مختلق وأن سيف بن عمر كذاب لكنه ذكر أن الواقدي ذكر القعقاع بن عمرو وهذا يعني أن (محقق التراث!!) يصحح نسبة كتاب فتوح الشام للواقدي!! مع أن الكتاب مكذوب على الواقدي!!

وللأسف أن جل ما طرحه علي رضا كان بعيداً عن الصواب مثل عنعنة أبي إسحاق السبيعي وحميد الطويل ومغيرة بن مقسم مع أنه محتج بهذه (العنعنات) في الصحيحين!! وتضعيفه لحديث أبي فضالة في مقاله مع أنه صححه في تحقيقه لمسند علي (انظر الأحاديث رقم 2394-2396) وغير هذا كثير لكن لأن الموضوع عن (سيف والقعقاع) لذلك فسأترك على علي رضا لمناسبة قادمة ليعرف القراء حقيقة الأمر!! أما تفاخره

وتعاليه بما لم يحسنه فهذا قد تعودنا سماعه من كثير من المبتدئين في علم الحديث تصحيحاً وتضعيفاً تجد الواحد منهم مقلداً للتقريب معرضاً عن منهج الشيخين!! وعن تطبيقات ابن حجر نفسه!! لكن هذا كله أسهل من الزيادة في متن الحديث!! زيادة ليست منه وهذا للسف ما فعله علي رضا فقد زاد في متن حديث نبوي!! من أحل أن يطعن في عبد الرحمن بن عديس البوي!! وهذه غريبة أن تصدر ممن يزعم أنه من (محققي التراث!!) وهذا هو (الوضع في الحديث)!! ومن المستغرب أن يصدر ممن يدعي حماية الحديث!!

رد الدكتور عبد الرحمن الفريح

اطلعت على مقال الدكتور عبد الرحمن الفريح يوم الجمعة 1418/2/29هـ المنشور بصحيفة الرياض وكان رداً عليَّ حول سيف بن عمر والقعقاع مع أن أكثر مقال الأخ الفريح لم يكن عن سيف ولا القعقاع! وإنما كان عن العرب العاربة والمستعربة!! وعبد الرحمن بن عديس البوي!! وسائر ما يمكن أن تتوقعه من اتهامات كالعادة!! وحقيقة قلت لكم أكثر من مرة أن البلاء يأتي في عدم فهم المكتوب!! أو عدم قراءته!! أو تعمد الظلم والتزوير!! وللأسف أن كل هذا وزيادة قد وقع فيه الأخ الفريح ولذلك فسأتجنب الرد على معظم المقال لأنه خارج موضوعنا ولأن بعضه قد تم الإجابة عليه سابقاً أما الملاحظات فكالتالي:

الملحوظة الأولى:

أثنى الفريح كثيراً على علي رضا لأن الأخير رد عليَّ!! لكن (فرح) الفريح لم يدم طويلاً بسبب المقال الأخير لعلي رضا وعلى هذا يكون الأخ الفريح قد (تورط) في الثناء على علي رضا وتقليد!! فلا علي رضا سيرجع إلى إثبات شخصية القعقاع أو توثيق سيف!! ولا الفريح يتراجع عن ثنائه على علي رضا!! فالحمد لله!! (ولو دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض).

الملحوظة الثانية:

زعم الأخ الفريح أنه وجد أن قاتل أبي لؤلؤة المجوسي تميمي ! ! وأن غير سيف قد ذكر هذا كالمدائني وابن حجر !

وأقول: للأسف أن الفريح لم يصب في هذا القول فالمدائني وابن حجر إنما ذكرا أن رجلاً تميماً ألقى على أبي لؤلؤة كساء وقيل برنساً فلما رأى أبو لؤلؤة الخطر قتل نفسه انظر قول المدائني في العقد الفريد (25/5) وقول ابن حجر في الفتح (63/7) فأنتم ترون أنه رغم إسناد القصة الضعيف إلا أن ذلك التميمي إنما ساعد في القبض على أبي لؤلؤة مثله مثل غيره من الذين أحاطوا بأبي لؤلؤة وقد ثبت في صحيح البخاري أن أبا لؤلؤة نحر نفسه انظر صحيح البخاري مع الفتح (60/7) أما سيف بن عمر فزعم أن أبا لؤلؤة هرب من المسجد بعد قتله عمر فلحقه رجل من بني تميم وضايقه حتى قتله ثم رجع إليهم بعد قتله له ! ! انظر كتاب الردة والفتوح لسيف (ص8) وأظن القارئ يعرف أن هناك فرقاً كبيراً بين ما أورده المدائني وابن حجر وبين ما قاله سيف بن عمر ! ! فتأملوا الروايتين فالمدائني وابن حجر يثبتان أن أبا لؤلؤة قتل نفسه ومثلهما البخاري في صحيحه ! ! أما سيف فإنه انفرد بأن المباشر لقتل أبي لؤلؤة كان تميمياً ! ! ومن لم يصدق فليرجع للمصادر ويتأكد بنفسه من الذي سقط في تحديه ! ! أهو أنا أم الفريح ! ! .

الملحوظة الثالثة:

زعم الفريح أن تحدياتي (هشة) ! ! وليته كسب هذا التحدي عندما حاول إثبات توثيق سيف بن عمر ولإثبات حقيقة القعقاع ! !

الملحوظة الرابعة:

ذكر الفريح أن سيف بن عمر ثقة عند المتقدمين والمتأخرين وأقول: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته!!

الملحوظة الخامسة:

ذكر الأخ الفريح ان القعقاع بن عمرو وردت أخباره من طريق غير سيف!! فذكر أنه قد ذكرها أبو عمرو الشيباني في معجم البلدان لياقوت الحموي!!

أقول: وهذه ضحكة كبرى فإن ياقوت الحموي كان يسرد الأشعار والأقوال عن يوم بزاحة فذكر منها قول الأصمعي ثم قول أبي عمرو الشيباني ثم شعر القعقاع ثم شعر ربيعة الضبي ثم شعر لجحدر بن معاوية وشعر القعقاع لن يجده ياقوت الحموي (ت626هـ) إلا في كتب سيف بن عمر أو من نقل عنه!! فذهب الفريح (الذي يوصي بالأمانة العلمية!!) ذهب لينسب هذا السرد من (ياقوت الحموي) ويجعله لأبي عمرو الشيباني!! وهذه لن تنطلي على باحث فهم ما قلته في المقالات السابقة.

ثم لم يذكر لنا من هو (الأشعري) صاحب الأنساب الذي زعم بأنه ذكر القعقاع!! وهل هذا الأشعري بعد سيف أم قبله!! وهل نقل خبر القعقاع –إن صحّ- بإسناد عن طريق آخر غير سيف؟! وإذا كان كذلك فلماذا لم يذكره لنا الفريح حتى نرجع إلى إثبات القعقاع بن عمرو!! أما ما ذكره لنا الفريح عن كتاب (فتوح الشام) المنسوب للواقدي فقد سبق الكلام عليه في حلقات مضت، وأنه لا تصح نسبته إلى الواقدي بل هو مكذوب عليه مؤلف بعده بمئات السنين!!

على أية حال: أنا أعرف من خلال مقال الفريح أنه واد وكلامنا في واد آخر!! وإلا لما زعم أن سيف بن عمر ثقة بالإجماع!! وأن القعقاع مذكور في البداية والنهاية وكتاب عرموش ودار النفائس!!

الملحوظة السادسة:

ذكر أني وثقت الوضاعين والضعفاء!! مثل الهيثم بن عدي والكلبي وأبي مخنف وابن أعثم والجرمي وأمثالهم!! ثم أخذ يسرد بعض ما يراه من منكراتهم!!

أقول: وهذه دعوى من النوع الثقيل!! وإن كان هذا الدكتور صادقاً ويستطيع الإثبات فليذكر توثيقي لهؤلاء بالنص وليس بالإدعاءات التي كنت أربأ بمثله أن ينشرها ويكررها! أما قولي بأنهم لم يذكروا القعقاع فهذا صحيح لكن هذا لا يعد توثيقاً لهم وإنما قصدي أنهم مع ضعفهم وكذب بعضهم إلا أنهم لم يتجرأوا على ما تجرأ عليه سيف بن عمر!!

الملحوظة السابعة:

كل ما ذكره الدكتور في أكثر العمود الأول ثم كامل العمود الثاني والثالث والرابع والخامس ليس له دخل في موضوعنا!! فقد كان نصف هذا تقولات من بعض المعاصرين حول العرب وأقسامهم!!

الملحوظة الثامنة:

ذكر أنني أتباهى بذكر نشوان الحميري!! وأنني تباهيت به مع أنني لم أذكر نشوان في كتاباتي البتة!! فمن أين جاء بهذا؟!

الملحوظة التاسعة:

ذكر أن وهب بن منبه من الأسماء التي طرحتها أنا وزكيتها ثم زعم أن (وهب بن منبه من أوائل الملفقين الوضاعين وأنه رأس مدرسة الدس والتدليس) ! !

أقول: ألا يعلم الدكتور من هو وهب بن منبه احتج به البخاري ومسلم في صحيحيهما ! ! فسبحان الله ! ! والغريب في الأخ الفريح أن يطلق أقواله بلا منهج ولا ضوابط.

الملحوظة العاشرة:

ذكر أنني بذلك جهدي في جعل ابن عديس من الصحابة ! ! ! ثم رماه بالوضع في الأحاديث ! !

أقول: على أهل الحديث أن يتبينوا من منا المصيب ! !

الملحوظة الحادية عشرة:

ذكر أنني فضلت الهمداني اليمني على الطبري وابن كثير وابن حجر !

أقول: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته ! ! فهذا لم يقع مني أبداً ! !

الملحوظة الثانية عشرة:

خلط الدكتور بين أمرين في شأن ابن عديس فظن أني قلت أنه لم يخرج على عثمان ! ! وهذا خلاف ما قلته (انظر بيعة علي ص284) فأنا أعرف أن ابن عديس خرج على عثمان وأخطأ ولكنني أنفي وبشدة أن يكون هذا الصحابي وأمثاله من تلاميذ عبد الله بن سبأ كما أراد سيف بن عمر ! ! وتبعه موثقوه ومحبوه ! !

أما ما ذكره الفريح من أن المؤرخين الآخرين ذكروا خروج ابن عديس فهذا صحيح وليس هذا موطن نزاع ولكنهم لم يذكروا أنه من أتباع عبد الله بن سبأ ! ! الذي أصبحت بعض الرسائل الجامعية عندنا –بحمد الله- تستحي من ذكره وتهمل أقوال سيف فيه ولا يذكرون ابن سبأ في الفتنة تبعاً للمحققين من العلماء المتقدمين والمتأخرين.

إذن فما ذكره من أنني لم أذكر مؤرخاً آخر تكلم عن دور ابن عديس في الفتنة من أخف دعاواه التي شحن بها مقاله ! ! ويستطيع القارئ أن يعود لكتاب الرياض (نحو إنقاذ التاريخ الإسلامي) الفصل التاسع ليرى الحقيقة التي كتبتها بعيداً عن تخرصات الفريح في هذه القضية التي ملأ بها ثلاثة أعمدة التي كانت (نصف المقال) !

الملحوظة الثالثة عشر:

ذكر أن المؤرخين تابعوا سيفاً (وعدوا ابن عديس من السبئية) ! !

وليته ذكر لنا مؤرخاً واحداً من هؤلاء الذين ذكروا أن ابن عديس من السبئية وفي ظني لو قال أحد أن (معاوية من السبئية) لغضبنا فما بالنا لا نغضب لأحد من أصحاب بيعة الرضوان ! ! علماً بأن السبئية في ظني لا تعني مجرد الخروج على عثمان كما أن الخارجية لا تعني كل خروج على علي ! ! هذا على افتراض وجود عبد الله بن سبأ وللدكتور عبد العزيز الهلابي مبحث عنه انتهى إلى أن عبد الله بن سبأ (أسطورة ! !) وللدكتور سليمان العودة مبحث آخر انتهى إلى عكس ذلك وفي ظني لو يلتقي الأخوان الكريمان الهلابي والعودة ويتحاوران للتوصل إلى حقيقة (عبد الله بن سبأ) لكان أفضل مع أنني –حتى الآن- أميل إلى نتيجة الدكتور الهلابي لكن لم أجزم إلا ببطلان دور ابن سبأ في الفتنة لأنني بحثت الموضوع أما وجوده مطلقاً فأنا إلى الآن لا أجزم بذلك.

الملحوظة الرابعة عشرة:

استطرد الفريح في الكلام عن عبد الله بن سبأ والسبئية معظم العمود الخامس يريد تشتيت الموضوع وأنا أريد الإبقاء عليه وما ذكره أيضاً لا دخل له بموضوع القعقاع بن عمرو وقد سبق الكلام في هذا الموضوع في كتاب الرياض لكنني أنصح القارئ باقتناء كتابي العودة والهلابي ثم ليقارن القارئ ولينظر هل ابن سبأ حقيقة أم اسطورة؟!

الملحوظة الخامسة عشر:

ما زعمه الفريح بأنني اعتمدت على كتب مطبوعة وأنني لم آت بجديد زعم باطل عريض!! صحيح أن الباحث يطلع على ما كتب في الموضوع ولا أنكر أنني قبل الكتابة عن سيف أو القعقاع قد اطلعت على ما كتبه الهلابي والعودة والمعلمي والتباني والعسكري وطه حسين وغيرهم من العلماء والباحثين لكنني لم أقلد أحداً منهم واستخرجت روايات سيف بنفسي وبحثتها رواية رواية سنداً ومتناً واستدركت عليهم أشياء كثيرة فاتتهم مع تقديري لمن سبق وعدم هضم حقه لكن أول ما دفعني للجرأة في هذا الموضوع هو المعلمي وليس الهلابي كما ظن الهويمل!! مع امتناني الكبير للدكتور الهلابي ثم إن ما كتبته عن سيف أو القعقاع كان بحمد الله نتيجة بحث ذاتي ولا يعني هذا عدم الالتفات إلى الدراسات السابقة كما لا يعني أن أوجب على نفسي أن أخالفهم في كل النتائج فالبحث العلمي لا يعادي أحداً ولا يقلد أحداً والحكمة ضالة المؤمن يأخذها حيث وجدها.

الملحوظة السادسة عشرة:

ما ذكره الفريح بتزوير في توثيق سيف بن عمر واعتماده على نقل الطبري وابن الأثير وغيرهم عنه إضافة إلى تفسير لبعض الأقوال كأقوال ابن حجر والذهبي ثم اعتماده على توثيق صاحب دار النفائس لسيف بن عمر! ! هذه لن أرد عليها ويستطيع القارئ مراجعة كتاب الرياض (ص45 فما بعدها) .

الملحوظة السابعة عشرة:

ذكر أنني رميت أصحاب المصادر التاريخية الأصلية بالغباء والغفلة! !

أقول: أي مصادر يقصد؟ مصادر المتقدمين كأصحاب الكتب الستة ومن في طبقتهم ومن قبلهم أم يقصد الذين نقلوا عن سيف بن عمر؟! ثم إذا كان عدم الأخذ بأقوال المتأخرين يعد اتهاماً بالغباء فالأخذ بأقوال المتأخرين أولى أن يتهم باستخفافه بالمتقدمين الذين لم يهملوا تراجم أقل شأناً مما يقوله سيف عن القعقاع! !

ثم أنا ليس لي أية مصلحة في نفي وجود القعقاع إلا محبة معرفة الحقائق بعينها بعيداً عن الاختلافات والتهويلات.

رد الدكتور الهويمل:

أسعدني رد الدكتور حسن الهويمل الذي حث فيه المتخصصين على المشاركة في (تقليم أظافر هذا الشاب! !) فقد حدد لهم الهدف من المشاركة أيضاً ولو تلميحاً! ! وأنا أطلب منهم المشاركة بالحق لمعرفة الحق لكن المشكلة الكبرى في مقال الدكتور الهويمل –وأخشى ألا تكون كل مقالاته هكذا– أنه مقال بلا موقف قرأته ثلاث مرات ولم أخرج بنتيجة وتذكرت المثل الكردي القائل: (الفاسقون الخمسة أربعة الفأر والثعبان والوزغ) ! ! فهو يجعل الخمسة أربعة ثم ثلاثة في سطر واحد! !

ولا تعرف هل الدكتور معك أو ضدك؟ ! هل يتكلم بقصد العلم أم بقصد فض الاشتباك؟ !

لذا أرجو أن تكون كتاباته المستقبلية أكثر وضوحاً وأسمى هدفاً وأبعد عن الضبابية.

دروس من معركة القعقاع

كل الحياة مليئة بالدروس والعبر، ومن محاسن هذه العبر وخصائصها الحسنة أنها لا تقتصر على الخير أو الشر، بل لا يكاد العاقل يرى حدثاً أو يسمع خبراً أو يقرأ فكرة إلا وجد في ذلك من الدروس ما يضيفه إلى ما يماثله مما سجله خاطر أو سطره قلم أو سنح به فكر.

وعلى هذا يجب أن نعلم أن الشر لا يخلو من فائدة ولو للعبرة كما لا يجوز أن نظن أن الخير لن يصاحبه شر ولا أن الحق لن ينازعه باطل فهذه من سنن الله في الحياة مزجها لتتكامل منظومة الحياة (وبضدها تتميز الأشياء).

لهذا كله فأنا أرغب ألا تنجلي (معركة الحوار حول القعقاع بن عمرو) التي دارت عب الأسابيع الماضية إلا ونسجل منها بعض الفوائد والدروس والعبر، هذه العبر التي نريد من القارئ أن يتذكرها عندما تتشابه (المعارك)!! التي تثير بعض الراكد، وتيقظ بعض (الغفوات العلمية) الطويلة!!.

وأنا لا أزعم أنني سآتي على جل الفوائد فضلاً عن كلها إضافة إلى أن غيري قد يدرك أشياء أعمق وفوائد أقوى مما أذكره هنا، لكن هذا تذكير مني لنفسي ولإخواني القراء بأن نستفيد من هذه (المعارك)!! وأعذروني في هذه التسمية فالأفكار تتعارك والأدلة تتعارك لنعرف منها اصناف الناس من الناحية العلمية ونعرف طريقتهم في عرض الأفكار، وطريقتهم في إخفاء الحقائق، ومحاربتها أيضاً!! فالأحداث تتكرر والعبر

تترى والإنسان عامد إلى النسيان ولم نؤت إلا من نسياننا لهذه الدروس والعبر التي تساعدنا في تفسير بعض الماضي وفهم أكثر المستقبل!!

أما الآن فسأحاول أن أسجل ما أراه من أبرز الفوائد والوقفات والنصائح أيضاً!! وهذه موجهة لمن يعشق الحقيقة فقط!! أما الآخرون فلن يستفيدوا مما أقوله في هذا المقال.

ولعل من أبرز الوقفات التي يجب أن يعلمها محبو الحقيقة ما يلي:

أولاً: الحقيقة والوضع السائد

يجب أن نعلم أن هناك فرقاً كبيراً بين من يكتب للحقيقة وحدها ومن يكتب لإرضاء الناس من الزملاء والأصدقاء والأساتذة والتلاميذ!! أو من يكتب مراعياً الزمن بما فيه من تقليد وتلقين وتعطيل للنصوص والعقول في كثير من الأمور العلمية!! الذي يكتب للحقيقة لا ينظر للزمن أو الوضع السائد وإنما يراعي البراهين والأدلة العلمية، أو التي يراها علمية وقد يخطئ أيضاً لكنه واضح الموقف لا يغش ولا يدلس ولا يتلون ولا يستغل القارئ ولا يطلي الباطل بطلاء الحق ولا ينتظر الثناء من أحد أو عتابه كما لا ينتظر موافقة أحد أو معارضته!! لأن همه الحقيقة فقط فهي ضالته يبحث عنها وينشرها بين الناس ويتعب في محاولة إيصالها مفهومة واضحة إلى أكبر عدد ممكن من المهتمين.

هذا الناشد للحقيقة كان بإمكانه أن يكتب ما لا يثير راكداً ولا يخالف سائداً ولا يجلب ضرراً لكنه يرى أن نشر الحقيقة مع ما يصاحبها من أذى خير من كتمان العلم الذي يساهم في (تشكيل) عقل القارئ ليكون (إمعة) إن أحسن الناس القول أحسنه وإن أساءوا القول أساءه، وبالتالي يساهم أيضاً في (تأسيس الجهل

العلمي!!) الذي ابتلي به كثير من الناس!! لذلك نجد اللغة لغة أهل العلم والتحقيق!! بينما المضمون كلام أهل الجهل والتلفيق!! فهذه اللغة (العلمية) لهذا (الجهل) تجعل القارئ يظن أن الجهل علم عظيم!! وبهذه اللغة تسير دفة الجهل فوق أقتاب الحق!! كالجنازة التي تمشي على أربع فتسبق الحي الذي يمشي على رجلين!!

ثانياً: الأكثرية ليست مقياساً

يردد بعض الناس (أكثر الناس على هذا...) أو (أكثر الناس يعارضون هذا الأمر...) ومع أن هذا الحكم يحتاج لدراسة إلا أنه ليس من معايير الحق أن تتبناه الأكثرية!! فالكثرة ليست دليلاً على الصحة وليس هناك دليل شرعي ولا عقلي على هذا.

بل إن الله عز وجل أخبرنا في كتابه بأن (أكثر الناس لا يعلمون) و(أكثرهم يجهلون) و(أكثرهم للحق كارهون)!! و(ما يتبع أكثرهم إلا ظناً..)!! ومصادر هذه الآيات على التوالي الروم (30) المائدة (5) الأنعام (6) المؤمنون (23) يونس (10).

إذن فالأكثرية ليست مقياساً صحيحاً للحق ولذلك نجد أكثر الناس كفاراً وأكثر المسلمين مقلدين أو جهلة وأكثر المقلدين متعصبين وهكذا تنتقل الأكثرية المخطئة بارتياح من وسط إلى وسط!! ومن زمن إلى زمن!! وإن كانت الأكثرية على حق في أشياء فلا بد أن يكون معها باطل في أشياء أخرى فلا تخلو الأكثرية من رفض لحق أو تمسك بباطل وواجبنا أن نقلص هذا الباطل ونوسع هذا الحق أما الذي لا يعترف إلا بشرعية آراء الأكثرية فهو مخالف لنصوص القرآن الكريم كما أن الذي لا يشعر بتعصب الأكثرية أو ظلمها فقد يكون من الأكثرية نفسها!! فهو كالمسحور الذي لا يشعر بالسحر فلذلك لن يشعر الفرد من الأكثرية بأخطائها ولا أمراضها العلمية.

ولو نظرتم للتاريخ لوجدتم أن (الأكثرية) هي التي حاربت الرسل والمصلحين.

والخلاصة هنا: أن العبرة في النواحي العلمية ليست بالأغلبية ولا بالأقلية وإنما بالدليل والبرهان وإذا نظرنا لموضوع القعقاع مثلاً فلا يجوز لمن يحتج بالأكثرية على (وجود القعقاع) ويزعم أن (أكثر) أصحاب التراجم ذكروه في كتبهم؟! ولو شئنا أن نحتج عليهم بـ (الأكثرية) لقلنا: متى تكونت عندكم هذه الأكثرية؟! هل كانت موجودة في القرون الثلاثة الأولى أم تكونت بعد موت سيف بن عمر بقرون!!

إذا كان ولا بد من الاحتجاج بالأكثرية فهل الأفضل أن نحتج بأكثرية (القرون الفاضلة) أم نحتج بأكثرية (القرون المتأخرة والمعاصرة) هذا على افتراض أن بعض المتقدمين قد ذكر القعقاع مع أنه لم يذكره أحد منهم بحرف سوى سيف بن عمر!! فهذا مثال جاء نموذجاً فقط وليس مقصوداً بذاته لأنه سبق البحث فيه.

ثالثاً: الدليل وحده لا يكفي!!

من الخطأ ما كنا نظنه أيام الدراسة!! بأن الدليل هو السلاح الأمضى!! وأن النصوص ستشفع له في قبول الناس للحق!! فهذا كله كنا نظنه صحيحاً في الزمن الماضي!! كنا نظن أن الدليل سيشق طريقه بلا معونة أحد!! لكن ثبت –من خلال التجربة– أن الأدلة والبراهين سواءً كانت شرعية أو عقلية لا يتقبلها أكثر الناس إذا تصادمت مع ظنونهم وأحكامهم المسبقة!! مهما كانت وعودهم (النظرية!!) بالانصياع والخضوع للأدلة!! فما أن يأتيهم الدليل المخالف لما أعتادوه حتى يتناولوه بالتضعيف أو التأويل أو دعوى المعارضة لأدلة أخرى!! وإن لم تفلح المعاول (الهدمية) فيستطيع صاحبها الهجوم على صاحب الدليل والطعن في علمه أو تخصصه أو عقيدته أو نيته.. الخ!!!

وهذه (المعاول) في هدم الآراء الصحيحة ليست حديثة العهد بل هي أساليب متبعة في محاربة الحق على مر التاريخ!! لذلك فأنا أنصح أخواني الباحثين –الشباب منهم خاصة- إلا يظنوا أن طريق الحقيقة مفروش بالورود ما دام أنه لا يمتلك الدليل!! فهذا كلام نظري يحسن بنا أن نحفظه كثقافة فقط!!

لكن عند التطبيق أنت بحاجة إلى اشياء كثيرة غير الأدلة والبراهين ولعل من ذلك حاجتك لمعرفة الناس بك!! فإن عرفك احدهم فقل ماشئت ولو كان باطلاً!! فإن لم يعرفك ذلك الشخص فابشر بسيل من الاتهامات والطعون لسبب واحد فقط وهو أنه (لا يعرفك!!) ولا تنتظر منه أن يقرأ كلامك أو ينظر في الأدلة أو يحاول فهمك!! فهذا شيء ليس من العادة أن يطرق!!

إذن على الباحث عن الحقيقة أن يعلم أن التعصب بإمكانه أن يقود العلم للخضوع أمام الجهل!! وأن اليقين سيخضع للظن أيضاً إلا إذا وفق الله وفتح من عنده لكن مع هذا كله يجب ألا نيأس فكم من مستقبل وجد في بعض الماضي ضالته وكم من لاحق استفاد من سابق!! وقد يأتي من يبحث عن الحقيقة ويجدها عندك أو عند غيرك.

الخلاصة هناك يجب ألا يظن صاحب الحق أو الباحث عنه أن الطريق ميسر لادلته كلا فهذا كان حلماً جميلاً شوهته حقائق اليقظة وأوجعته دروس التاريخ!!

رابعاً: إصلاح الجليس!!

من واجب المسلم أن يصلح جليسه وأن يرد عليه الباطل برفق ويأخذ منه الحق متى وجده ولو أصلحنا جلساءنا وأصلحونا لحصلنا على الأجر والعلم مع ما في هذا (الإصلاح) من بحث عن المعرفة وتطبيق للحوار وتلمس للضوابط والمعايير الصحيحة في إصدار الأحكام على أفكار الآخرين.

فإذا سمعت أحد جلسائك يزعم أن فلانا من الناس (سيئ النية، جاهل...الخ) فالواجب عليك أن تسأله عن ادلته على ما ذكره؟!

فإن قال لك: دليلي الكتاب الفلاني أو المقالات الفلانية التي ينشرها؟ فلا تستعجل وأسأله: هل قرأ تلك الكتب أو تلك المقالات؟!

فسيجيبك بجواب من ثلاثة: إما أن يقول: لم أقرأها ولكن سمعت الناس!! أو يقول: نعم قرأتها!! أو يقول: قرئت علي نماذج منها!! فإذا قال أنه لم يقرأها فذكره بأن الله عز وجل أمر بالتبين والتثبت وإذا كان بعض الصحابة وهو الوليد بن عقبة قد نقل للرسول (ص) خبراً باطلاً مشوهاً حتى نزل في ذلك القرآن الكريم فمن باب أولى أن بعضنا –على ضعفنا وأهوائنا– قد ينقل أخباراً باطلة وتشويهات متعمدة أو غير متعمدة!!